الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أدرار

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تفسير في مجالس التذكير لعبد الحميد بن باديس من منظور لسانيات النص

بحث مقدم لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب.

إعداد الطالبة :
أم الخير بامهدي

إشراف:
الدكتور إدريس بن خوي

السنة الجامعية:
1433 - 1434هـ /2012 –2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ
ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ
لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢
وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ
وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ سورة الفرقان
الآية[32-33].

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع .ثمرة جهدي ونتيجة كدي

إلى من أوصى الله بهما في كتابه العزيز فقال:﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا﴾سورة العنكبوت الآية[08].

إلى التي حملتني بطنها كرها وصبّت عليّ من حنانها فيضاً أمي الغالية .

إلى الذي تعهّدني برعايته طفلة وشابة أبي العزيز.

إلى من شملني معهم عطف وحنان أبواي أخواتي أخواي :جمعة ،مبخوتة،مبروكة ،خديجة ،حليمة .

إلى إخواني محمد ،عبد الحق ،بوجمعة

إلى كل أفراد العائلة الكبيرة.

إلى من كانت الجامعة سبباً في لقائهم.

أم الخير

شكر و عرفان

مصداقاً لقوله تعالى في كتابه العظيم ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾سورة النمل الآية:[19].

وبكل ما تحمله هذه الآية من معان صادقة ،أقول :حمداً لك يا رب يا علي يا قدير على ما نحن فيه من نعمة ،طلب العلم تاجها ،وتوفيقك لنا فيه سرّ نجاحنا .لك الحمد أنرت الطريق للأمة بهدي خير الأنام محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

شكر عطر أقدّمه لأستاذي المشرف (إدريس بن خويا) ،على صبره الطويل معي رغم انشغاله جزاك الله خير الجزاء.

إلى من قدّم لي يد العون :أساتذتي الكرام لكم مني خالص التقدير والاحترام :

أمال بوخريص ،المغيلي خدير ،العلمي حدباوي ،محمد الأمين خلادي

إلى كل الأساتذة المؤطرين لهذه الدفعة من دراسة الماستر أدامكم الله تاجا فوق رؤوسنا.

إلى مدير الجامعة ،إلى كل عمال وعاملات جامعة أدرار ،مكتبة دار الثقافة ،المكتبة العمومية ،المركز الإسلامي ...

شكرا للجميع.

مقدمة

حظي النص القرآني منذ بدء نزوله إلى وقتنا الحاضر باهتمام أعلام الأمة الإسلامية وعلمائها، الذين حاولوا فهم معانيه المقدّسة، واستخراج أحكام الشريعة السمحاء منه؛ لاقتضاء العمل بها، ولقداسة هذا الكتاب العزيز الذي تحدّى العرب ببيانه ثبتَ إعجازه، وعجز من تحدّاهم؛ فلم يستطيعوا الإتيان بسورة من مثله، فكيف لهم أن يأتوا بمثله بعشر سور .

وحاول هؤلاء بافترائهم على أنواعه وأساليبه إحداث الخلل فيه، وكان من جملة ما قالوا وأوضحه الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾سورة الفرقان الآية:[32]، فكان قولهم هذا عن: لماذا أُنزل هذا القرآن متفرّقاً و لم يترل جملة واحدة فأجابهم الله بأن أنزله أصدق بيان وتفصيلاً في قوله: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾سورة الفرقان الآية:[33]، وغير هؤلاء ممّن حاولوا الوقوف في وجه الكتاب العزيز- إلى وقتنا الحاضر-فدحض الله فكرهم، وجعل من أبناء الأمة – على مر الزمان- من يتكفّلون بمجابهتهم بعد أن تكفّل الله بحفظه ورعايته.

فكان علماء علوم القرآن عموماً والتفسير على وجه الخصوص، من الذين اعتنوا بالقرآن الكريم على مر القرون وفي كافة أرجاء وأقطار البلاد العربية؛ فبالإضافة إلى اعتنائهم بتفسير القرآن الكريم، حاول هؤلاء كشف ما يشُدّ بنيان هذا النص المعجز، وما يؤكّد وحدته في الدلالة، رغم أنّه نزل متفرّقاً لا جملة واحدة كما أراده الكفار .

وتعدّ هذه النظرة التراثية الأصيلة للنص القرآني، محصّلة أحدث البحوث اللغوية الغربية (لسانيات النص أو علم اللغة النصي ...).

من هنا وتأسيساً على ما سبق جاءت فكرة موضوع هذا البحث الموسوم بـــ: تفسير في مجالس التذكير للشيخ عبد الحميد بن باديس من منظور لسانيات النص .فما المفهوم الذي يتّجه إليه علم التفسير ولسانيات النص وما أساس الربط أو العلاقة بينهما؟ وما مفهوم ابن باديس للتفسير، وما حقيقة تفسيره (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)؟ وكيف استطاع ابن باديس الغوص في أعماق النص القرآني، في الفترة الزمنية التي عاش فيها، وما اتجاهه في ذلك؟ ما المنهج الذي سار عليه في تفسيره، ما أهم ميزاته وفي ما تتحدّد قيمته؟ هل من ظلال لسانية نصية في التفسير و فيما تتجلى ؟ وما وجه مطابقتها بما ظهر في ميدان الدراسة اللسانية النصية ؟

الحقيقة أنّ هذا البحث جاء نتيجة لأسباب عدّة أهمّها:

1) ميدان الدراسة الذي ينتمي إليه هذا البحث (الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر).
2) أنّ إرهاصات علم لسانيات النص (بالمصطلح المغاربي)الأولى،كانت في ظل العناية بالنص القرآني في مختلف علومه خاصة التفسير .
3) أما في ما يخص اختيار تفسير ابن باديس؛ فيمكن تعليل هذا بالمكانة التي يحظى بها هو كرجل إصلاح، أضف إلى هذا قلة الدراسات التي تناولت التفسير بالبحث والدراسة، في هذا المجال عامة وتفسير ابن باديس على وجه الخصوص، والأهم من هذا، ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله من اعتبار تفسير(في مجالس التذكير) مدوّنة للفكر الإصلاحي في الجزائر.

فإذا كان للتفسير ظلال في مجال الإصلاح الاجتماعي، فهذا لا يمنع من كشف خبايا لغوية لم يغفلها ابن باديس في مدوّنته التفسيرية، لهذا اتّخذ البحث منحى البحث والتقصّي عن ما يمكن أن يُعتبر جهداً باديسياً، في مجال كشف وحدة النص القرآني، في ترابط آياته و اتّساقها وانتظام بعضها مع بعض .

لهذا استندت دعائم هذا البحث على منهجين أساسيين: وصفي تحليلي، تجلى في الوصف العام للتفسير وتوضيح المنهج المـُعتمد فيه، ومن ثم تحليل نصوص تفسيرية ومطابقتها بما استُحدث في مجال الدراسة اللسانية النصية. واستقرائي، كان السعي من خلاله إلى تتبّع المادة التفسيرية الباديسية المتعلّقة بهذا الموضوع، ناهيك عن ما بث في مسالة التدرج الزمني لعلم تفسير القرآن الكريم .

باعتماد تقسيم البحث إلى فصلين جاءت الخطة كالآتي :

مدخل حول مفهوم التفسير وتدرّجه الزمني، وعلاقته بما بُحث في لسانيات النص.

الفصل الأول حول عمل ابن باديس في تفسيره(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، ويضم ثلاثة عناصر: الأول تناول ترجمة ابن باديس، والتعريف بتفسيره.وخُصّص العنصر الثاني لإبراز المنهج والطريقة المعتمدة في التفسير.أما العنصر الثالث فقد تناول الحديث عن أهم خصائص هذا التفسير، والمكانة التي عُرِف بها.

أما الفصل الثاني فجاء الحديث فيه عن تجليات المعالجة النصية في تفسير ابن باديس، ويضم هو الآخر ثلاثة عناصر: الأول منها تناول النظرة الشمولية للقرآن الكريم، تم فيه توضيح ما يمكن أن يمثّله النص القرآني في نظر الشيخ عبد الحميد بن باديس، أو نظرته للقرآن الكريم، وهو يدخل في إطار (وصف النص).

وجاء العنصر الثاني حول القواعد العامة التي التجأ إليها ابن باديس في التحليل، وهي تشمل أهم الأدوات التي تحدّد للنص وحدة بنائه وتماسكه؛ تأصّلاً بعلمائنا، وتأسيساً لما بُحثَ في إطار لسانيات النص، ويدخل هذا في إطار (تحليل النص). أما العنصر الثالث فقد تناول تحليل نموذج من تفسيره (المعوّذتين)؛ تفصيلاً و تأكيداً لما

عُثِر عليه في تفسير لآيات متفرّقة، ومحاولة إبراز نظرته لهاتين السورتين اللتين تناولهما تفسيراً بالكامل، إلى أن نصل في الأخير إلى خاتمة تحوي أهم وأبرز النتائج التي خُلِص إليها من البحث .

أما فيما يخصّ الدراسات السابقة التي تناولت جانباً من جوانب هذا الموضوع، فهي لا تكاد تذكر؛لاتصال الموضوع بأحدث البحوث اللغوية المؤسسة والمـُنظَّرِ لها في الغرب، وهذا لا يعدم من وجود بعض البحوث التي كرّست جهدها لخدمة هذا المجال، والتي منها:

ما قام به صبحي إبراهيم الفقي؛ فقد أشار إلى إسهامات علماء العربية في هذا المجال – بإشارات موجزة –من نحويين وبلاغيين وعلماء علوم القرآن. في مقابل هذا توجد دراسة محمد خطابي، الذي فصّل في المسألة، وأشار بشكل مفصّل إلى إسهامات علماء التفسير، موضّحاً هذا تطبيقاً على سورة البقرة.

رافقت هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع المعتبرة أهمها: مدوّنة البحث تفسير (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) للشيخ عبد الحميد بن باديس، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لصبحي إبراهيم الفقي، لسان العرب لابن منظور، البرهان في علوم القرآن للزركشي، الإتقان للسيوطي ...الخ .

الشيء الذي لا بد من التصريح به وهو أن هذا البحث وقف في مساره مجموعة من الصعوبات منها: انفتاح البحث وعمقه، إضافة إلى عدم توفّر بعض المراجع المهمة في البحث المترجمة منها على وجه الخصوص ككتاب رقية حسن وهاليداي (التماسك في الإنجليزية) كذلك قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع أو جزء منه بالبحث ...

وننبّه القارئ الكريم إلى أنّ غاب في هذا البحث بعض المسائل الخاصة باضطراب مصطلح لسانيات النص وعلاقته بتحليل الخطاب ،ثم الفرق بين الخطاب والنص ،كذلك ما يخص نشأة هذا العلم وأهم أعلامه والهدف من هذا التركيز على غاية البحث لوجازته.

في النهاية نشكر الأستاذ المشرف على رفقته الطيبة في هذا العمل ،والشكر موصول أيضا لأعضاء اللجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا البحث .

أم الخير بامهدي

أدرار في: 2013/06/04م.

مدخل:

علم التفسير

وعلاقته بلسانيات

النص.

القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى المتّزل على رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة؛ – بعد أن كان قد أرسل كل رسول إلى قومه خاصة – ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم بإذن ربهم إلى صراط مستقيم.

هو معجزة الإسلام الخالدة، لا يزيده التّقدم (علمياً كان أو تكنولوجياً) إلا رسوخاً في إعجازه، هو: «سر السماء فهو نور الله في أُفق الدنيا حتى تزول ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول.»[1]

والقرآن نزل بلسان عربي، متحدياً بذلك أرباب الفصاحة والبيان؛ فثبت عجزهم على أن يأتوا بمثله، أوبعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، وثبتت له صفة الإعجاز، ومنه ثبوت الرسالة كلها.

وفي المقابل كان النبي صلى الله عليه وسلم يبلِّغه لصحابته – وهم عرب خُلَّص– فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آية من آياته سألوا صاحب الرسالة عنها فبيَّن لهم ذلك وهو بهذا مأمور. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، كما أُثِر تفسيره لعدد من الآيات حَرِص الصحابة على تلقيها –كما جميع القرآن — من النبي صلى الله عليه وسلم، أضف إلى ذلك حرصهم على حفظه وفهمه والعمل به والوقوف على أحكامه.[3]

لا شك أن النص القرآني وهو في قِمّة الفصاحة، نص جامع لدقائق المعاني وموجز الألفاظ، وعموم الدلالة وخصوصها، مطلقها ومقيدها، هو نص تشريعي حامل في طياته أحكام الشريعة الإسلامية ...

من هنا كانت الحاجة ملحّة إلى علم يتصدّى بالدراسة لهذا الكتاب العزيز؛ يستوضح ما يحمله من دلالات وتشريعات وأحكام وكنوز ...، لا يقدر على استظهارها إلا من امتلك ناصيته في هذا العلم ألا وهو: علم التفسير.

---

[1]– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي،تقديم: محمد علي سلامة ،مراجعة:محمد سعيد العريان،الصحوة للنشر والتوزيع،القاهرة ،ط1 ،1429 هـ / 2008 م،ص33.

[2]– سورة النحل، الآية [44].

[3]– ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناّع القطان ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الرياض، ط3 ، 1421هـ / 2000م ،ص 13 - 15 .

1 علم التفسير مفهومه وغايته:

أ. التفسير في اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب (فسر) : « الفَسْرُ:البيان. فَسَرَ الشيءَ يفسِرهُ، بالكسر، ويفسُرُهُ، بالضم، فسراً وفسَّرهُ: أبانه، والتفسير مثله.ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد. وقوله عز وجل: ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾؛ الفَسْرُ كشف المغطَّى، والتفسير كشف المراد باللفظ المشكل، والتأويل: رد المحتملين إلى مايطابق الظاهر.»[1]

فالمعنى اللغوي للفظ تفسير يرجع إلى الكشف والإبانة عن مراد اللفظ المـُشكل؛ وكأنّ عمل المفسر المـُهمُّ فيه كشف وإبانة ما يحول بين اللفظ ومعناه.

أما في الاصطلاح فيعرّفه الزركشي بأنه: « علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مَكّيها ومدنيِّها، ومُحكمها ومُتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصِّها وعامِّها، ومُطلقها ومُقيَّدها، ومُجملها ومُفسّرها.»[2]

من هنا يتّضح أنّ التّفسير علم بكل ما يحيط بالآيات القرآنية إفرادا وتركيبا ،رسما وقراءة ...وزاد آخرون علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها ،وعِبَرها وأمثالها .[3]

والتّفسير غير التأويل. يقول الراغب: « التّفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ.»[4]

فالتفسير أشمل وأوسع نطاقاً من التأويل؛ لاقتصاره على المعاني فقط مع بقائه في حدود الكتب الإلهية، أما التفسير فيتعدّى هذا ليشمل معاني الألفاظ في الكتب المقدسة وفي غيرها.

---

[1]- لسان العرب ،جمال الدين أبي الفضل بن منظور ، مادة (فسر) ،تحقيق:عامر أحمد حيدر ،مراجعة:عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت -لبنان ،ط1، 1424هـ/2003م. مج5،ص64.

[2]- البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين الزركشي،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت،(د-ط) ، (د-ت) ،ج2،ص 148.

[3]- ينظر: المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

[4]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، دار ومكتبة الهلال ،بيروت- لبنان، (د-ط)،(د-ت)،ج2،ص 173.

2 - تطور علم التفسير(في القديم والحديث):

المقصود من هذه الإطلالة ليس عرض كل التفاصيل الخاصة بعلم التفسير منذ نشأته إلى الحاضر، بقدر ما هي محاولة إطلاق نظرة عامة من شأنها تيسير فهمنا للموضوع، مع محاولة الإحاطة بأهمّ خصيصات هذا العلم وكيف أنه تطور مع مرور الزمن .

من المعلوم أنّ التفسير ظهر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان من جملة ما بيَّنه وحدَّث به حيال القرآن الكريم، مُوضِّحا ومُفصِّلاً؛ وهي أحاديث تناقلها الصحابة رضوان الله عليهم وأصبحت فيما بعد نواةً للتفسير بالمأثور،الذي له قيمته في إسناده للنبي صلى الله عليه وسلم .

اشتهر بهذا التفسير جماعة من الصحابة منهم الخلفاء الأربعة و عبد الله بن مسعود، ابن عباس، أُبَيُّ بن كعب، زيد بن ثابت...، معتمدين في تفسيرهم على أربعة مصادر :

1/ القرآن الكريم. 2/ النبي صلى الله عليه وسلم .

3/ الاجتهاد وقوة الاستنباط . 4/ أهل الكتاب من اليهود والنصارى.[1]

يأتي بعد هؤلاء تلامذة الصحابة وهم التابعون؛ فكان أن قامت في عديد الأمصار مدارس علمية مختلفة أساتذتها الصحابة وتلامذتها التابعون. من هذه المدارس: مدرسة التفسير بمكة (ابن عباس) وأخرى بالمدينة (أبي بن كعب) وثالثة بالعراق (ابن مسعود)، وظل التفسير في هذا العصر يحتفظ بطابع التلقي والرواية، ومع دخول أهل الكتاب في الإسلام، نقل هؤلاء عنهم في تفاسيرهم، وأصبح ما يعرف بالإسرائيليات .[2]

حظي باب التفسير من بين أبواب الحديث المتنوعة بنصيب وافر في عصور التدوين، واشتدت العناية برواية التفسير المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع عنايتهم بجمع الحديث؛ من هؤلاء: يزيد بن هارون السلمي(ت 117هـ)، شعبة بن الحجاج (ت 160هـ)، وكيع بن الجراح (ت 197هـ) ...الخ، وقد نقلت تفاسيرهم مسندة إليهم في باب التفسير بالمأثور، كما أفرد من جاء بعدهم التفسير بالتأليف وجعلوه علماً قائماً بذاته منفصلاً عن الحديث، شاملاً لآيات القرآن وسوره حسب ترتيب المصحف، وأشهر من ألف في هذه المرحلة: ابن ماجة (ت 273هـ)، ابن جرير الطبري (ت 310هـ)، أبو بكر المنذر النيسابوري (ت 318هـ) وغيرهم .

ثم ظهر إثر هؤلاء جماعة من المفسرين اختصروا الأسانيد، وجمعوا شتات الأقوال دون أن ينسبوها إلى قائليها وبهذا التبس الأمر فلم يفرَّق بين الصحيح والسقيم .

---

[1]- ينظر: التفسير و المفسّرون، محمد حسين الذهبي ، (د-ط)،(د-ت)، ج1،ص35-37.

[2]- ينظر: المرجع نفسه،ص 99-100.

ثم بعد أن اتّسعت العلوم وتشعَّبت فروعها، وظهر ما يسمى بالتعصب المذهبي، وحرصت الفرق الإسلامية على دعم مذهبها، وظهر كل ما من شأنه أن يكون أثَراً لفعل الزمان والمكان؛ أصاب التفسير شيء من هذا الجو الغابر، وأصبح المفسرون يتّجهون اتجاهات متعددة كل حسب مذهبه انتصاراً له، ورداً على خصومه، وأهم ما أُلِّف في هذه المرحلة من التفاسير: جامع البيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الطبري، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، معالم التنزيل للبغوي، تفسير القرآن العظيم لابن كثير .[1]

إذا كان التفسير في هذه الفترة قد أصابه ما أصابه وأحاط به من الجو الفكري والعقائدي وحتى الفلسفي فمن المؤكّد أنّه فقد مكانته ومهمّته المنوط بها هدايةً وإرشاداً ومعرفةً لأحكام الدين وتشريعاته .

وما أن يأتي عصر النهضة إلاّ ويتّخذ الكثير من المفسرين منحىً جديداً، إمّا بالعناية بطلاوة الأسلوب القرآني وحسن عباراته أو بالاهتمام بالنواحي الاجتماعية و معالجة الأفكار المعاصرة والمذاهب الحديثة، ومن هؤلاء: محمد عبده، السيد قطب، محمد مصطفى المراغي ...الخ .[2]

فالقرآن الكريم دستور جمع بين سعادتي الدنيا والآخرة، وقد تناوله الأوائل واجتهدوا في تفسير آياته والكشف عن معانيه ومراميه، ويفسِّر هذا الألوان المختلفة التي تلوّنت بها دراساتهم و التدرّج الزمني الذي سارت عليه .

يؤكد محمد حسين الذهبي أنّ المفسرين الأقدمين أعطوا كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة؛ حقّه من البحث والتحقيق سواءً من الناحية اللغوية أو البلاغية، الأدبية، النحوية، الفقهية، المذهبية، الكونية والفلسفية و لم يبق لمن جاء بعدهم من عمل جديد يقومون به في تفاسيرهم – إلى ما قبل عصرنا بقليل– سوى ما كان جمعاً لأقوال متقدِّميهم أو شرحاً لهذه الأقوال، وهذا ما جعل التفسير يقف وقفةً مليئة بالركود.

إلى أن جاء العصر الحديث واتّجهت أنظار العلماء في عنايتهم بدراسة التفسير، إلى أن يتحرروا من هذا الركود ويخرجوا من نطاق الجمود، فكانت نظرتهم بحق نظرة أثّرت في الاتجاه التفسيري للقران الكريم؛ إذ عملوا على إلباس التفسير ثوباً أدبياً، اجتماعياً، يُظهِر روعة القرآن ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السّامية ...، والتّخلص من كل ما من شأنه أن يُذهِب جمال النص القرآني وروعته وجلاله.[3]

لقد تباينت نظرة العلماء الذين لهم عناية بتفسير القرآن الكريم في القديم والحديث؛ بَيْد أنّ المتأخرين حاولوا التجديد في دراساتهم التفسيرية، لأنّ من تقدّمهم لم يتركوا لهم شيئاً ممّا يعتنون به، وفي مقابل هذا

[1]– ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمان الرومي ،مكتبة التوبة ط 4،1419هـ، ص 32-39.

[2]– ينظر: مباحث في علوم القرآن، منّاع القطان ،ص 375.

[3]– ينظر :التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ،ج 2 ، ص 495-496.

الشق الذي اعتنى بالقرآن على أنه الكتاب الخالد الصالح لكل زمان ومكان، هناك شق آخر صبَّ نظرته على أساس حرية الرأي الفاسد من الملاحدة وغيرهم.

هذا عن مفهوم التفسير؛ فما مفهوم لسانيات النص وما القواعد التي يقوم عليها هذا العلم ؟

2. لسانيات النص (المفهوم والمرتكزات):

اختصت الدراسات اللسانية المعاصرة التي تهتم بالنص باسم نحو النص، أو علم النص أو لسانيات النص أو لسانيات الخطاب...، وكل هذه الدراسات تؤكد ضرورة مجاوزة التحليل على مستوى الجملة إلى مستوى أرحب هو فضاء النص؛ فما مفهوم هذا العلم وما مفهوم النص من خلاله؟ وما مهمته؟ وما هي أهم المرتكزات للتحليل اللساني النصي؟

يرى صبحي إبراهيم الفقي أن لسانيات النص أو علم اللغة النصي هو: « ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة والمرجعية وأنواعها، والسياق النصي textuel context، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء.»[1]

انطلاقا من هذا التعريف، تعد لسانيات النص فرعاً من فروع علم اللغة(اللسانيات)، يربط في دراسته بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية المدروسة – منطوقة كانت أو مكتوبة – باعتبارها الصورة الأخيرة المتماسكة، والتي لها دور الاتصال بين أفراد المجموعة اللغوية .

يعدّ مصطلح" نص" أكثر المصطلحات إثارة في ميدان لسانيات النص؛ فقد تعددت تعريفاته وتشعبت في ميدان البحوث اللغوية الغربية، وقبل الإشارة إلى بعض تعريفات هذا المصطلح جدير بنا إيراد معناه اللغوي للتقريب بين المفهومين .

النص لغة: من نصص: « النَّصُّ: رفعك الشيء .نصَّ الحديث يَنُصُّهُ نصّاً:رفعه .وكل ما أُظهِرَ .فقد نصَّ...يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه...ومنه قول الفقهاء: نصُّ القرآن ونصُّ السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام .»[2]

فالنص هنا بمعنى الرفع والإظهار، مما يؤكِّد وجود حركة ما بين طرفين، ونص القرآن ونص السنة عند الفقهاء يدل على ما انتهى إليه ظاهر اللفظ فيهما من الأحكام .

[1]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط 1، 1421هـ/2000م، ج1،ص36.

[2]- لسان العرب، ابن منظور ،مادة (نصص)،مج7،ص109-110

النص اصطلاحا:

عرّف كثير من الدارسين مصطلح "نص" تعريفات يتجلى للمطّلع عليها صفة التضارب بينها؛ نتيجة لما تعرفه العلوم من اتّصال فيما بينها، والهدف الأساس في هذا الموضع هو إيراد تعريف بسيط من شأنه توسيع الإدراك والفهم لهذا المصطلح وتفادي الاضطرابات التي لا طائل من ورائها.

فالنص يُعرَّف على أنه: وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية ، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية، والنص لم يبق بالمفهوم التقليدي الذي يُنظَر إليه من خلال مكوّناته الداخلية، بل ارتقى إلى مفهوم جديد انطلاقا من الوظيفة التي يؤديها .[1]

إذن النص شكل لغوي ذو مستويين سطحي وعميق، وهو لاعتباره وحدة شاملة له قواعده المحدِّدة التي يتشكَّل من خلالها،كما أنه لا يبقى رهن الفعل والانجاز بل يتعداه إلى وظائف أخرى تتحدَّد من خلاله هو كنص (سياقات النص المختلفة).

تتمثَّل مهمّة لسانيات النص في نظر أغلب الباحثين في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية في مستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة، من ناحية أخرى يُعنى هذا العلم بشرح كيفية قيام النص بوظائفه؛ أي أنه يقوم بتحليل الخواص المعرفية التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية في مرحلة الأداء، مع إعادة إنتاجها في مرحلة التلقي .[2] ما يؤكّد أهمية السياق، وضرورة وُجود خلفية لدى المتلقي حين يتصدّى لتحليل النص.

لذلك أوّل ما يبدأ التحليل النصي من الأبنية الكبرى للنص المتحقِّقة بالفعل، وهي في درجة كبيرة من التماسك (cohésion)، الذي يعني في نظر أغلب الباحثين في هذا المجال: «العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى . »[3] كما لا تستقيم نصية النص إلاَّ إذا كان في درجة من الانسجام بإدراج النص ضمن إطار السياق، الذي لا يكتمل إلاَّ إذا اكتملت كل أبعاد النص إضافة إلى بعده التداولي الذي يتم أثناء التَّفاعل و التبادل الكلامي؛[4] نتيجة ما

---

[1]- ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية) ،نعمان بوقرة ،جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،عمان-الأردن ،ط2، 2010م،ص141.

[2]- ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص ،صلاح فضل ،دار الكتاب المصري (القاهرة)،دار الكتاب اللبناني (بيروت)،ط1، 1425هـ/2004م،ص293-296.

[3]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،صبحي إبراهيم الفقي ،ج1،ص96.

[4]- ينظر : مبادئ في اللسانيات ،خولة طالب الإبراهيمي ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،ط2، 2006م،ص169-170.

يُضْفيه المتلقي أو القارئ على النص، بل يتعدّى ذلك إلى إدخال عناصر القراءة التي يمتلكها، وهو ما يدخل تحت ما يسمى بكفاءة النص أو إنجازه.[1]

من ما سبق يتأكّد أن أهم الدراسات توضِّح أهمية المتلقي ودوره الفعّال تُجاه النص؛ ما يعني تداخل اختصاصات علم لسانيات النص، أضف إلى هذا كونه يجمع بين جملة من الإجراءات النظرية والوصفية وحتى التطبيقية .

تلخِّص خولة طالب الإبراهيمي أهم القواعد المبدئية التي اقترحها اللغوي الفرنسي جان ميشال آدام لإرساء قواعد و أسس نظرية نصية متكاملة. تتحدَّد هذه المبادئ إطاراً للتحليل النصي اللساني التداولي، وفرضياتها الأربع كما يلي:

1 - الطبيعة النصية لممارساتنا الكلامية؛كون الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية هي النص وليست الجملة.

2 - النصية وقِوامُها الترابط والاتِّساق والانسجام؛ لأنّ النص منتوج مترابط بفعل العلاقات النحوية التركيبية ...، متَّسق باستعمال النظائر الدلالية، منسجم باكتمال كل أبعاد النص، وهذا ما ينفي عنه العشوائية.

3 - ضرورة التمييز بين نصية محلية ونصية عامة؛ أي النص في بعديه الميكرونصي و الماكرونصي، حيث الترابط في البعد الأول تكون علامته العلاقات النحوية التركيبية، أما الاتساق فيتبلور بترتيب الموضوعات والمحمولات، في حين تنتظم في الانسجام المحلي أفعال الكلام التي يحويها النص .

أما الترابط في البعد الثاني فيكون بين مقاطع النص فيما بينها والنص بمُجمَله، وقوام الاتساق العام هو النظائر أوالمتجانسات الدلالية، في الوقت الذي يكون فيه التوجه التداولي العام للنص هو المحدِّد لانسجام النص العام.

4 - النص بنية مقطعية غير متجانسة أساساً، حيث استنتج أن النصوص المتداولة في المجتمع البشري قلَّما تكون متجانسة، وأنّ هذا التجانس مفقود بالنسبة للمتلقي .[2]

هي ذي مبادئ النظرية النصية عند جان ميشال آدام، وهي تحمل في طياتها مفهومه للنص والنصية، وكيف أنَّ البعد التداولي في التحليل اللساني النصي ذا أهمية بالغة،كما أنّ لنظريته هذه الأهمية البالغة في عملية التلقي والقراءة.

[1]- ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص ،صلاح فضل ،ص310_311.

[2]- ينظر: مبادئ في اللسانيات ،خولة طالب الإبراهيمي ،ص168.

من خلال المفهوم الخاص بكلا العلمين يظهر ما بين الإثنين من تقارب؛ ففيما يتجلى وجه العلاقة بينهما؟

3 - مفسِّرو القرآن الكريم ونظرتهم للنص القرآني:

لقد كان لعلماء التفسير الدور الهام في إبراز تماسك النص القرآني وانسجامه، انطلاقاً من نظرتهم الشمولية تُجاهه ؛ فقد جعلوا من شروط المفسِّر الإدراك الشامل لآيات الذّكر الحكيم، ومعرفة أسباب النُّزول وغير ذلك، ثم إنّهم أوّلاً وقبل كل شيء ينبرون إلى تفسير نص مقدّس من لدُن حكيم خبير .

فعدَّ هؤلاء القرآن الكريم لشدّة تماسكه كالكلمة الواحدة، مُتَّسق المعاني منتظم المباني، وقد عُرِف عندهم بأبعاد كثيرة كالتماسك بين الحرف والحرف، والكلمة والكلمة، والكلمة والجملة والكلمة والفقرة، والسورة والسورة، أوَّل السورة وآخرها ...[1]

هذا التماسك الذي تفطّن إليه علماؤنا لا يمنع من أن يكون لكل سورة ملامحها المميّزة لها عن باقي السّور، وهذا ما عبّر عنه سيد قطب في قوله: «إنّ كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفرّدة، وذات ملامح متميّزة،وذات منهج خاص، وذات أسلوب معيّن، وذات مجال متخصّص في علاج هذا الموضوع الواحد (موضوع القرآن المكي ومنه موضوع العقيدة)، وهذه القضية الكبيرة. إنّها كلّها تتجمّع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلّة، وطرائقها المتميّزة ومجالها المتخصّص في علاج هذا الموضوع، وتحقيق هذه الغاية.»[2]

فقد أدرك (رحمه الله) وجود الرابط بين السور المكية لتميّزها بوحدة الموضوع، و الاختلاف الذي يتجلّى في معالجة كل سورة لهذا الموضوع،كل سورة ومنهجها المنوط بهـــا.

تبرز أهمية التماسك في اعتباره أحد وجوه الإعجاز القرآني، إضافة إلى مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض ...حتّى تكوّن بذلك كلاً موحّداً.

ويعدّ من صميم الدراسة النصية ما تفضّل به الزركشي في حديثه عن قوله تعالى : ﴿وَ غَرَابِيبُ سُودٌ﴾[3] حيث إنّ الغرابيب متضمّنة لمعنى السود، إلاَّ أنّ السواد ذُكِر وبذكره: «وقع الالتئام واتّسق نسق النّظام، وجاء اللفظ والمعنى في درجة التّمام .»[4]

و الحقيقة التي يجب إثباتها هو أنّ علماءنا كانت لهم محاولات جادّة في إبراز صفات الكمال والإعجاز والتماسك والانتظام في النص القرآني؛ محاولين بذلك إثبات وحدة بنيانه التي لولاها لما استوعب القرآن خبر

---

[1]- ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،صبحي إبراهيم الفقي ،ج1،ص125-128.

[2]- في ظلال القرآن، سيّد قطب ،دار الشروق ،القاهرة -بيروت ،ط17، 1412ه/1992م،مج3،ص1243.

[3]- سورة فاطر ،الآية [27].

[4]- البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين الزركشي ،ج2،ص445.

ومستقبل البشرية، حيث إنّه بمنهج التعامل بالوحدة البنائية للنص القرآني، لا يمكن الاهتمام بجانب وإهمال آخر؛ لأنّ:«معاني الآيات لن تُسفِر عن وجهها حتّى تُقرأ في سياقها وموقعها وبيئتها وتدرك العلاقة بين الآية و القرآن الكريم كلّه؛ لأنّ القرآن بناءٌ مُحكم واحد، ونظمٌ متفرِّد واحد، تسري فيه كلّه روح واحدة تحوِّله إلى كائن حي يخاطبك كفاحاً ويشتبك معك في جدل شامل يجيب به عن أسئلتك . »[1]

فإذا كان علماء التفسير — رغم انشغالهم بتفسير النص القرآني وكشف ما فيه من أحكام ...- مقتنعين بأن في القرآن ما يفسّره القرآن نفسه؛ لم يشغلهم هذا عن الكشف عمّا يشدّ بنيان هذا النص المعجز.[2]

ومن هنا تتحدّد الصلة الوثيقة بين مجال علم تفسير القرآن الكريم وما استُحدث في مجال الدراسات اللغوية من بحوث حول لسانيات النص والتحليل اللساني النصي.

تعتبر مدوّنة التفسير من أخصب المدوّنات، لاعتبارها نتاجاً لسانياً متميّزاً بالنظر إلى ما وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة في مجال الدراسة النصية؛ فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نُغفِلَ نِتاجَ وجُهودَ قرون مضت،كان علماؤها من أعلم الناس بفقه العربية ومكنوناتها وأسرار تراكيبها؛كما لا نكون متعسِّفين في حق من جاء بعد هذه القرون (حديثاً)، وما بدأ يظهر في ساحة المناهج من مقاربات في إبراز مواطن الانسجام والتماسك في بناء النص القرآني .

[1]- في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، عبد الرحمن بودرع ،مركز تفسير للدراسات القرآنية ،جامعة الملك سعود،المملكة العربية السعودية ،(د-ط)1443/4/6هـ-2013/2/16م،ص 26.

[2]- ينظر للتّوسّع في أوجه إعجاز القرآن مثلا: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،ص126-186.

الفصل الأول: عمل ابن باديس في تفسيره (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

أولا: الشيخ عبد الحميد بن باديس وتفسيره (في مجالس التذكير).

ثانيا: تفسير ابن باديس منهجه والطريقة المعتمدة فيه.

ثالثا: خصائص التفسير الباديسي وقيمته.

كانت الإشارة فيما مضى لأهم الأشياء المتعلقة بالموضوع، منها: تعريف التفسير، وأهم أعلامه قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، وفي هذا الجزء سيتركّز الحديث عن شخصية فذة،- نموذج البحث- لها باعها في العناية بالقرآن الكريم وتفسيره.

أولاً : الشيخ عبد الحميد بن باديس وتفسيره (في مجالس التذكير).

1. التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس:

هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس (رائد الحركة الإصلاحية وزعيمها في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، وُلد في الخامس من ديسمبر سنة تسع وثمانين ثمانمائة وألف (1889م)، منتصف ربيع الثاني سنة 1308ه، [1] بمدينة قسنطينة، وهو الولد البِكر لأبويه .

والده السيد محمد المصطفى بن الشيخ مكي بن باديس من حفظة القرآن الكريم، وأحد أعيان وأغنياء مدينة قسنطينة، و أمّه زهيرة بنت علي بن جلول من أسرة عبد الجليل، التي عُرفت في قسنطينة بالعلم والجاه.[2]

حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ المداسي، وأتمّه في السنة الثالثة عشرة من عمره، وكان لشيخه أن قدّمه ليؤُمَّ الناس في صلاة التراويح في الجامع الكبير لثلاث مرات متوالية؛ لحسن سيرته وذكائه.

سافر إلى تونس في 1908م، والتحق بجامع الزيتونة ماكثاً به أربع سنوات، ينهل في رحابه علوم اللغة والدّين، ويطالع أمّهات الكتب في شتّى العلوم، إلى أن حصل شرفه بأن تخرّج منه بشهادة التطويع (1911-1912م)، ثم درَّسَ به سنة، على عادة المتخرّجين قبل أن يرجع إلى وطنه، وكان تتلمذه على يد علماء وأساتذة أجلاّء فُضَلاء من بينهم :

الشيخ محمد النخلي أحد أعمدة النهضة بتونس .

العلّامة محمد الطاهر بن عاشور المفسّر الجليل، الأصولي و المصلح الكبير.

العلّامة الشيخ محمد لخضر بن الحسين الجزائري الأصل، شيخ الأزهر الشريف فيما بعد، وغيرهم كثير.[3]

و العلّامة ابن باديس مدرّس ماهر، ومربٍّ من الطراز الأول، عمل على تأسيس المدارس الابتدائية الحرة العربية على كافة أرجاء الوطن، كما دعا إلى تعليم المرأة الجزائرية، والعظيم من ذلك أنّه عمل على تنقية الدين من الأباطيل والبدع والخرافات، وهو حري بذلك بَيْدَ أنّه فقيه خبير بمذهب الإمام مالك ومتفقّه فيه.

---

[1]- ورد في معجم(الأعلام) لخير الدين الزركلي،دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر،بيروت-لبنان،ط15،مايو/2002م، ج3،ص289، أنه ولد في 1305ه/1887م،وهذا التاريخ غير صحيح بالنظر إلى عديد المراجع والدراسات التي تناولته بالبحث.

[2]- ينظر:الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس (حياته ومسيرته وجهاده الإصلاحي)،كمال أبو سنة ،دار الخلدونية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2 ،أفريل /2005م،ص07.

[3]- ينظر: آثار ابن باديس ،إعداد:عمار الطالبي ،الشركة الجزائرية ،الجزائر،ط3، 1417ه/1997م،مج1،ص84-87.

من أبرز أعماله ختمه تفسير القرآن الكريم (سنة 1928م) وقد كان بدأه منذ سنين، وكان نتيجة هذا أن أُقيم حفل مهيب لهذا السّبب، بدأ في مدينة قسنطينة وانتهى في كل مدن الجزائر.

وهذا بحق عمل عظيم، كيف لا وهو صادر من ذات عرفَت حقّ كتاب الله، ودوره في إصلاح البلاد والعباد. يقول طاهر مكي مؤيّداً هذا: « كان مذهب الشيخ الإمام يقوم على محاولة إحياء القرآن الكريم في قلوب مسلمي الجزائر حتى يبعثهم إلى الحياة بدورهم، وإحياء القرآن يكون بتفسيره وفقاً لمنهج السّلف، وبذلك تُخلّص العقائد من الأوهام والأباطيل التي شوّهتها، وجعلت الدين يبدو في نظر كثير من المؤمنين كما لو كان مضاداً للعقل، وكان ملمّاً بأساليب المفسّرين لما يدخلونه من تأويلات جدلية مذهبية في كلام الله. »[1]

فقد كان هدف ابن باديس من هذا العمل(تفسير القرآن) هو بعث و إحياء القرآن الكريم في نفوس المسلمين الجزائريين ،للتّخلّص من كل ما يشوب الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية من خرافات و أباطيل ؛ وبهذا يرجع للدين صفاؤه ونقاؤه الخالص بهما.

وهذا التفسير يعد أثراً ممتازاً لاستقلالية ابن باديس في فهم الآيات القرآنية، وملاءمته لروح العصر، وسيُفرَد له جزءٌ أكبر في هذا الموضوع لمحاولة بحثه.

من أبرز مؤلفاته:

- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير .
- من الهدي النبوي .
- رجال السلف ونساؤه.
- عقيدة التوحيد من القرآن والسنة .
- أحسن القصص.
- رسالة في الأصول .
- مجموعة كبيرة من المقالات سياسية واجتماعية.
- مجموعة خطب و فتاوى .....[2]

عاش ابن باديس ذا مبدء وفكرة، ومات و لم يَحِد عن فكرته، بل هتف: "فإذا هلكتُ فصيحتي تحيا الجزائر والعرب"، ضحّى و لم يُلقِ بالاً لصحّته و لم يتفرّغ لعلاج نفسه؛ فكان أن وافته المنية في الثامن من ربيع الأول سنة 1359هـ الموافق للسادس عشر أبريل 1940م، في مسقط رأسه، وحزنت الجزائر لرحيله حزناً شديداً، ورثاه الشعراء و الكتاب والعلماء.[3]

---

[1]- ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ،محمد بهي الدين سالم ،دار الشروق ،القاهرة ط1 ،1420هـ/1999م،ص37-38.

[2]- ينظر:المرجع نفسه،ص38.

[3]- ينظر:الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ،تركي رابح عمامرة ،منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر، الإشهار، وحدة الطباعة الروية، ط5 ،1422هـ/2001م،ص188-189.

وخُلِّد اسمه في صفحات تاريخ الجزائر كواحد من أعظم أبنائها، والحق يُقال أنّ عدد هذه السّطور لا يكفي للتّعريف والإشادة برجلٍ أمة وقطبٍ مهيب من أقطاب الجزائر العزيزة، عاش للوطن والعروبة والإسلام ومات لذلك.

2. **التعريف بالتفسير(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).**

لا يمكن لأي باحث اطَّلع على تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس، أن يمسك لسانه وقلمه للإشادة بهذا القليل العظيم مما ترك لنا عالِمُنا الجليل؛ فهو ما كان قاصداً هذا، ولكنّه كما قال: شُغِلنا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب.

وشُغله في ذلك هو تعليم جيل وتربية أمة ومكافحة أمية ومعالجة أمراض اجتماعية، وإضافة إلى كل هذا مجابهة مستعمر يؤيد هذه الأمراض ويسعى لاستفحالها .[1]

وهذا التفسير طبعاً كان عبارة عن مجالس تُلقى فيها دروس التفسير، قبل أن ينبري إلى نشر عدد منها في مجلته الشهاب تحت هذا العنوان، ويتّضح أمر هذا الكتاب تحت العناوين الآتية:

أ/تسمية الكتاب:

جاء في مقدمة كتاب تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، الذي اعتنى به وخرّج أحاديثه أبو عبد الرحمن محمود ،بقلم الإمام محمد البشير الإبراهيمي ما نصّه: «هذا هو العنوان الذي كان يضعه الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس رحمه الله لما يكتبه بقلمه البليغ في تفسير بعض الآيات القرآنية الجامعة.»[2]وهذا العنوان هو مجالس التذكير، كان الشيخ يجعلها فواتحاً لأعداد مجلّته الشهاب. ودامت هذه الفواتح من عدد كانون الثاني 1929م إلى عدد أيلول سنة 1939م، وزمن الحرب العالمية قريب من هذا .[3]

والملاحظ للفترة التي يمتد عمله التفسيري فيها، أنها توافق أو تعادل فترة نزول الوحي، بيد أنه شرع في تفسير القرآن تفسيراً شفوياً في مسجد قسنطينة ابتداءً من سنة 1913م، وختمه كلّه في خمس وعشرين سنة ؛أي إلى سنة 1938م.[4]

أما ما كان يُدونه من تفسير في بعض أعداد مجلته الشهاب فلم يُتمّه،وهو عبارة عن مجموعة دروس في تفسير آيات متسلسلة أو متفرقة من سور:

---

[1]- ينظر:مقدمة تفسير ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الإمام ابن باديس،بقلم:البشير الإبراهيمي،تحقيق:أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب و القرآن الكريم،الجزائر ،ط1، 1430هـ/2009م، مج1،ص12.

[2]- المصدر نفسه،ص15.

[3]- ينظر :مقدمة مالك بن نبي،آثار ابن باديس،إعداد:عمار الطالبي،مج1،ص12.

[4]- ينظر:تفسير ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،عبد الحميد بن باديس ،جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين محمد الصالح رمضان ،تحقيق:أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان،ط2، 1424هـ/2003م،ص9.

المائدة،يوسف،النحل،الإسراء،مريم،طه،الأنبياء،الحج،المؤمنون،النور،الفرقان،النمل، الأحزاب،يس، الذاريات، المعوّذتين، إضافة إلى تفسير موضوعي عن"العرب في القرآن"، والواضح من خلال التفسير أن اختياره للآيات القرآنية كان اختياراً مقصوداً لا محضَ صدفة .

وكان نتيجة ختمه تفسير كتاب الله، أن أُقيم له حفل يليق بمقامه العلمي وبإنجازه الضخم، أشرف عليه زميله البشير الإبراهيمي، و لم يَتوانَ الشعراء والخطباء إلى التباري في مدح الشيخ والإشادة بأعظم إنجاز قدّمه للجزائر وأبنائها.

يقول البشير الإبراهيمي تحسّراً على عدم تدوين تفسير ابن باديس: «لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، و لم يكتب تلامذته الكثيرون شيئاً منها، وضاع على الأمة كترُ علمٍ لا يُقوّم بمال، ولا يعوّض بحال، ومات فمات علمُ التفسير وماتت طريقة ابن باديس في التفسير، ولكن الله تعالى أبى إلاّ أن يذيع فضله وعلمه، فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس...، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له كما أنها نموذج من أسلوبه الخطابي وأسلوبه الكتابي.»[1]

غير أنه وإن ضاع وضاعت طريقة الإمام في التفسير، فهو لم ولن يؤثّر على مبدئه و عمله الذي كان همّه الأساس فيه تربية جيل قرآني، لهذا السبب اعتبر التدوين مشغلة له عن العمل المقدّم. فآثر البدء بتفسير القرآن درساً تسمعه الجماهير،لتتعجّل بالاهتداء به.[2]

ب/جمعه وأشهر طبعاته:

ظهر تفسير ابن باديس في عدة طبعات وأشكال منها:

أ. ما تصدى له كاتب المفسّر، وأمين سرّه أحمد بوشمال بتجريده من مجلة الشهاب، وطبعه في مطبعة الشهاب في حجم صغير عالي القدر.

ب. ما جمعه وأصدره محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين بعد الاستقلال (1964م)، بإصدار دار الكتاب الجزائري، الجزائر.

ج. إصدار وزارة الشؤون الدينية، الجزائر في الثمانينات .[3]

د. نشرة دار الكتب العلمية بيروت، سنة 1416هـ/1955م، علّق عليها وخرّج آياتها وأحاديثها أحمد شمس الدين.[4]

---

[1]- تصدير تفسير ابن باديس،مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود مج1،ص13.

[2]- ينظر: المصدر نفسه،ص12.

[3]- ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي ،1830-1954م،أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1998م، ج1، ص12.

[4]- الكتاب مطبوع و هو معتمد في البحث.

ج/المصادر والمراجع التي اعتمدها الإمام في تفسيره:

يقول الشيخ في خطبة افتتاحه لدرس من الدروس التفسير عارضاً بذلك ما رجع إليه في تفسيره من كتب الأئمة:

«وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

1/تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية وبأسلوبه التّرسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.

2/تفسير الكشّاف(لجار الله الزمخشري)، الذي يمتاز بذوقه في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب و التنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام .

3/تفسير أبي حيان الأندلسي (البحر المحيط)الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات .

4/تفسير الرازي(مفاتيح الغيب) الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية،كالذي يتعلّق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، والعلوم الكلامية ومقالات الفِرَق والمناظرة في ذلك والحجاج .

إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام .

نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ ما يسمعونه منّا.»[1]

د/ثناء أهل العلم والفضل عليه:

وأوّل هؤلاء صديقه وزميله المقرّب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (رحمه الله)،حيث يقول: «كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس (رحمه الله)ذوق خاص في فهم القرآن كأنّه حاسّة زائدة خصّ بها يرفده – بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقّادة، والبصيرة النافذة–بيان ناصع، واطّلاع واسعٌ، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه. يمد ذلك كلّه شجاعة الرأي، وشجاعة في القول لم يرزقهما إلاّ الأفذاذ المعدودون في البشر.»[2]

وقال عنه الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته "ختمت كتاب الله" بمناسبة ختم الإمام تفسير القرآن الكريم[3]:

يَراعُكَ في التّحرير أمضى من الظُّبي وأقضى من الأحكام أيَّان يُشهَرُ

ودرسُكَ في التفسير أشهى من الجَنى وأبهى من الرَّوضِ النَّضير وأبْهَرُ

خَتمتَ كتاب الله ختمةَ دارسٍ بصيرٍ له حلُّ العويصِ مُيسَّرُ

فَكَم لكَ في القرآنِ فهمٌ مُوفَّـــقٌ وكم لك في القرآنِ قولُ مُحرَّرُ

---

[1]– آثار ابن باديس، عمار الطالبي، مج1، ص162-163.

[2]– تفسير ابن باديس،مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق:أبو عبد الرحمن محمود ،مج1،ص11.

[3]– ديوان محمد علي خليفة ،محمد العيد آل خليفة،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،وحدة الرغاية،الجزائر،(د–ط)،2010م، ص156.

قبستَ من القرآنِ مِشعلَ حِكمَةٍ يُنارُ بهِ السِّرُّ اللَّطيفُ ويُبصَرُ
وبيَّنتَ بالقرآنِ فضلَ حـــضارةٍ أقَرَّ لها كِسرى وأَذعَنَ قَيْصَرُ.

ثانياً : تفسير ابن باديس منهجه والطريقة المعتمدة فيه:

كان ابن باديس رحمه الله شديد الحرص على تبليغ رسالة القرآن بلغة معاصرة، وهدفه من ذلك هو بناء مجتمع إسلامي يتلاءم مع روح العصر وروح الإسلام معاً؛ والظاهر أنه وُفّق في ذلك، لأن الجزائر لم تخرج من محنتها إلى أن بُعثت فيها النهضة العلمية والفكرية ورائدها هو الشيخ عبد الحميد بن باديس.

فربط في تفسيره معاني القرآن بالواقع الذي تعيشه الأمة، وبحركة الحياة وسلوك الإنسان وما تعتصره من مشكلات، وما يكابده من مشاق،كان يعاني منها وهو تحت نير الاستعمار الفرنسي. وتحوّل التفسير بذلك إلى مسار عودة إلى كتاب الله، وإلى حلقة وصل بين القرآن والحياة، دون تكلّف لا من جهة لغة أو أسلوب، أما المعاني والأفكار فجاءت مكثفة إلى حد كبير، وهو ما دفع الباحثان المتصديان لجمع التفسير إلى تبويبها على مئات العناوين الثانوية الصغيرة.[1]

قبل الولوج إلى الخطوط العريضة لمنهج الإمام ابن باديس في تفسيره تجدر الإشارة إلى مفهوم التفسير عنده،حيث إن تفسير القرآن «تفيهم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه. والتفهم تابع للفهم؛ فمن حسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه.»[2]

هذا التعريف في الحقيقة منسوب للبشير الإبراهيمي، إلا أنّ كلاً من الشيخين يعدّان من نفس الاتجاه والوجهة، والأمر عندهما سيّان.

فالغرض من تفسير القرآن هو تفهيم معاني وأحكام القرآن لعامة المسلمين، ليكون لهم نبراساً وهدى، منبع الآداب والتفقه في أسراره وأسرار هذا الكون الفسيح، ليكونواْ في الأخير خير خلف لخير سلف،لهم كل القدرة على النهوض بالجزائر مادياً وثقافياً.

قال ابن باديس :«إنّنا –و الحمد لله –نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ونوجه نفوسهم إلى القرآن الكريم في كل يوم وغايتنا التي ستتحقق أن يكوّن القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها.»[3]

لقد سار الإمام ابن باديس في تفسيره على منهج السلف، وتمكّن من تطبيق هذا المنهج على أحسن وجه؛ معتمداً على بيان القرآن للقرآن وبيان السنة له، وعلى أصول البيان العربي وسننه، والنَّفاذ إلى لغة العرب

---

[1]– ينظر :خصائص التفسير الباديسي،خالد توفيق،موقع الإمام عبد الحميد بن باديس www .bin badis.net،الثلاثاء 09، أفريل،2013م،سا:19:35.

[2]– تفسير ابن باديس،في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،تحقيق:أحمد شمس الدين،ص17.

[3]– آثار ابن باديس،عمار الطالبي،مج1، ج2،ص142.

وآدابها، وقوانين النفس البشرية وسنن المجتمع الإنساني، وتطور التاريخ والأمم، دارساً آيات القرآن وما تنطوي عليه من الدعوة إلى النظر في تجارب الأمم وتطورات الأحداث وما تخضع له من سنن وقوانين لا تتبدل ولا تتحول.[1]

ويمكن تلخيص الخطوط العريضة لمنهجه في التفسير في النقاط التالية:

1) بيان القرآن للقرآن :حيث اعتمد في تفسيره على بيان القرآن بالقرآن، وعن هذا يقول: «وما أكثر ما تجد في القرآن !!، فاجعله من بالك تهتد-إن شاء الله-إليه.»[2]

أي ما أكثر ما تجد من الآيات القرآنية بيانها في آيات قرآنية أخرى غير هذه الآيات. مثال هذا: ما بيّنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾[3]. يقول تحت هذا العنوان(بيان القرآن للقرآن): «في هذه الآية إنّهم يلقون تحية وسلاما، وقد بيّن من يتلقّاهم بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[4]، فالملائكة هم الذين يتلقّونهم في السلام والدّعاء لهم بالطيّب،وهو مما يدخل في التحية.»[5]

ومثال آخر نورده عن تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ ﴾[6]،يقول:«ونظير هذه الآية آية:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٖ﴾[7] ، ونظيرها أيضاً:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[8]. فكان عمله لدنيا دار الزوال، ونال بذلك نصيبه منها، وزالت بزوالها.»[1]

---

[1]- ينظر :المرجع السابق، ص92.

[2]- في مجالس التذكير، ص243.

[3]- سورة الفرقان، الآية[75-76].

[4]- سورة الزمر، الآية [73].

[5]- في مجالس التذكير، ص242-243.

[6]- سورة الإسراء، الآية[18].

[7]- سورة الشورى، الآية[20].

[8]- سورة هود، الآية[15-16].

2) توسّعه في البيان بإيراد وُجوه الاحتمالات المتناسبة لآية أو عدة آيات قرآنية؛ هذه الاحتمالات هي وُجوه القراءات في ألفاظ القرآن الكريم، التي بها تكثُر معاني الآية الواحدة، حتى نكاد نصل في الأخير نتيجة الجمع بين القراءات المختلفة بمعنى جديد للآية .[2]

يوضّح هذا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾[3].

يقول:« ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ﴾ يُحتمل أن يكون من الشُّهود، وأن يكون من الشهادة...فإذا كان ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ﴾بمعنى لا يحضرون، فالزور مفعول به، وإذا كان بمعنى لا يُخبِرون فالزور مفعول مطلق بعد حذف المضاف. والأصل: ولا يشهدون شهادة الزور.»[4]

بعد هذا يرجّح الوجه (الاحتمال)الأول لاشتماله؛ على أن الذي لا يحضر مجالس الباطل لا يشهد بالزور من الأساس.

ويستعرض نظير احتمال الآية وجهين، تكون بقراءتين كآيتين، ممثلاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[5]. ف﴿أَرۡجُلَكُم ﴾تكون كما يقول: «بالنصب عطفاً على الوجه فيفيد غسل الأرجل، وتلك الحالة الأصلية العامة. وبالخفض عطفاً على الرؤوس فيفيد مسح الأرجل وتلك هي الحالة الرخصة عند لبس الخفاف.»[6]

من استعراض هذه الأمثلة يتأكد لنا ما أثبتته المصادر حول أهمية النحو في توجيه القراءة القرآنية، وبالتالي ثبوت الحكم المناسب الذي تشتمل عليه الآية القرآنية.

3) لجوؤه إلى بيان القرآن بالسنة النبوية الصحيحة، وقد صرّح بمكانة ومنزلة التفسير حين يستند إلى الأحاديث الصحيحة في قوله:«وما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحاح !! »[7]

حتى إنه ليضع عنواناً لذلك(تفسير نبوي)،[8]ومثال هذا ما أورده في تفسير قوله تعالى:

---

[1]- في مجالس التذكير ،ص50.

[2]- ينظر :تفسير عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، باي زكوب عبد العالي، ص 117،مجلة الإسلام في آسيا، مج8،ع2، الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، ديسمبر2011م.

[3]- سورة الفرقان، الآية[72].

[4]- في مجالس التذكير،ص229.

[5]- سورة المائدة، الآية[06].

[6]- في مجالس التذكير، ص230.

[7]- المصدر السابق،ص187.

[8]- ينظر:المصدر نفسه،ص133-341.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴾[1].فمشهوداً بمعنى محضوراً، ويُفسّرها حديث النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري في صحيحه ،عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَفْضُلُ صَلاةُ الجَميع صَلاةَ أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً،وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر.ثم يقول أبوهريرة فأقرءواْ إن شئتم: ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴾.»[2]

فالحديث النبوي الشريف بيّن بأن صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.[3]

كما بيّن مكانة السنة الشريفة بالنسبة للقرآن في أنها بيان له وتفسير، ثم مكانها بالنسبة للقرآن؛ موضّحاً هذا في مثال ساقه عند اختلاف الدّعاة عليك،كل منهم يدعوك إلى الله تعالى؛ بأن تنظر فيمن يدعوك بالقرآن إلى القرآن، ثم ما صح من السنة لأنها بيان له تفسير. فيكون اتّباعك له لاتّباعه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في دعوته وجهاده بالقرآن.[4]

4) استناده إلى أسباب النزول لتفسير ما جاء في القرآن مُبهماً، والكشف عن معانيه، ورَدّ ما جاء متشابها إلى أصله الراجح؛ فيسوق مثلا في تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾[5]، ما ثبت في الصحيحين-عن سبب نزول الآية -أن عبد الله بن مسعود قال: «قال رجل: يا رسول الله، أيُّ الذَّنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله نداً وهو خلقك .قال: ثم أي؟ قال:أن تقتل ولدك مَخافَة من أن يُطعَم معك .قال: قلت: ثم أي ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. فأنزل الله عز وجل تصديقها:"الذين لا يدعون مع الله إلهاً أخر..."»[6]

كما يستخرج ما يوجد بين الآية وسبب نزولها من مطابقة؛ في أنهما تواردا في الإثم الأول على شيء واحد،كما تواردا في الثاني والثالث، إلا أنّ في الحديث ذكر فرد من العام، وفي الآية ذكر العام.[7]

---

[1]- سورة الإسراء، الآية[78].

[2]- صحيح البخاري ،أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن درزية البخاري، المكتبة الثقافية، بيروت، (د-ط)،(د-ت)،كتاب الآذان،باب فضل صلاة الفجر في جماعة ،الحديث 44،مج1، ج1، ص164.

[3]- ينظر:في مجالس التذكير،ص133.

[4]- ينظر: المصدر نفسه،ص189.

[5]- سورة الفرقان ،الآية[68].

[6]- صحيح مسلم،أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري،ضبط :محمد فؤاد عبد الباقي ،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان،ط1، 1442هـ/2000م،كتاب الإيمان،الحديث 142 ،مج1، ج2،ص70.

[7]- ينظر: في مجالس التذكير،ص219.

أيضا سعى ابن باديس إلى تصحيح ما ورد في فضل المعوذتين و نزولهما؛ إذ إنّ أصحّ ما ورد في نزولهما ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر الجُهَني، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَم تر آياتٍ أنزِلت الليلة لم يُرَ خيرٌ منهنّ قط؟ قل أعوذ بربِّ الفلق، وقل أعوذ بربِّ النّاس.»[1]

على عكس من يَذكَر في نزولهما قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم [2]، فقد تساهل كثير من المفسرين في حشر هذا السبب في تفسيرهما وفي حشر كثير مما لم يصح في فضائلهما.[3]

5) اعتماده ما نُقِل عن الصحابة في بيان القرآن، وأورد ما أخرجه البخاري في كتاب التفسير، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال:«خمس قد مضين : الدخان،القمر، والروم، والبطشة، واللزام...».[4]

ويورد لكل اسم من هذه الأسماء والآية التي اشتملت عليه يقول: «وعني بالدخان المذكور في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾[5]، وبالقمر المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[6]، وبالبطشة المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[7]، و باللزام المذكور في هذه الآية قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا﴾[8].

وفسّر ابن مسعود البطشة الكبرى بيوم بدر، وفسّر اللزام به أيضا. فهي في الحقيقة أربع وعدّها خمساً باعتبار الوصفين البطش والملازمة.»[9]

كما فسّر الحسن البصري اللزام بعذاب يوم القيامة؛ دفع هذا ابن باديس إلى أن يتّبع أسلافه و عادتهم في ذلك أن يفسّرواْ اللفظ بما يدخل في عمومه، دون قصد القصر عليه، لذا يكون تفسير الآية أنهم توعدواْ على

---

[1]- صحيح مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري،صلاة المسافرين وقصرها،باب فضل قراءة المعوذتين، الحديث264، مج3، ج6،ص83-84.

[2]- ينظر:أسباب نزول القرآن الكريم ،أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ،تحقيق:كمال بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 ، 1411ه/1991م،ص502-504.وقد ذكر قول المفسرين في سحر لبيد بن الأعصم النبي صلى الله عليه وسلم ،كونها سببا لنزول المعوّذتين.

[3]- ينظر :في مجالس التذكير،ص368.

[4]- صحيح البخاري،محمد بن إسماعيل البخاري،كتاب التفسير،باب سوف يكون لزاماً هلكة،الحديث260، مج3، ج6، ص201.

[5]- سورة الدخان، الآية[10].

[6]- سورة القمر، الآية[01].

[7]- سورة الدخان، الآية[16].

[8]- سورة الفرقان، الآية[77].

[9]- ينظر:في مجالس التذكير، ص244.

تكذيبهم بلزومه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.[1]

6) استمداده علم التفسير من أمهات المعاجم العربية و اهتمامه بالدقائق البلاغية، وحمل الآيات وربطها بوجوه مناسباتها، يقول في خطبة افتتاح له لدروس التفسير: «فقد عدنا –والحمد لله تعالى–إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير...على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية وربط الآيات بوجوه المناسبات.»[2]

وهدفه من هذا إيجاد بيان ما خفي فهمه من القرآن الكريم في ديوان العرب، وما حواه من أخبار وأمثال ونكت وأشعار كيف لا وهو الذي نزل متحدياً لهم في لغتهم و بيانهم.

مثال هذا ما ساقهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً﴾[3].يقول :« (القفو): اتِّباع الأثر، تقول: قفوته أقفوه، إذا اتَّبعت أثره. والمتبع لأثر شخص موال في سيره...ولكونه اتِّباعاً بغير علم، جاء في كلام العرب بمعنى قول الباطل قال جرير:

وطَالَ حِذاري خيفةَ البَينِ والنَّوى وأُحدوثةٌ من كاشحٍ مُتقوِّفِ .[4]»[5]

فقد ركّز هنا على اختيار المادة(القفو) لاستجلاء المعنى، مع تأكيد المعنى بما جاء في كلام العرب، كما لجأ إلى اللّطائف والدّقائق البلاغية لتعزيز معاني القرآن الكريم، وبيان إعجازه . يقول: « ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنّه يقدّم أوّلاً الاسمين المتلازمين في آية، لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام ...،ففي آية الناس قدّم الجِنّة على النّاس، لأنّ الحديث عن الوسوسة، وهي من شياطين الجن أخفى وأدق.»[6]

هذه من بين أوضح وأهم الدّقائق المنهجية في تفسير ابن باديس، ولعلّ القارئ الكريم إذا نظر فيه بتبصّر سيَسْتَجْلي ما غاب في هذا الجزء اليسير .

إنّ المتأمّل لتفسير ابن باديس، يلفيه تفسيراً حياً ينبض بروح الحياة؛ نتيجة الربط و التنسيق بين ما يتعرّض له من قضايا، وما يعكس ذلك في الواقع الذي كانت الأمة الجزائرية تعيشه آنذاك؛ عارضاً إيّاه بأسلوب واضح، تام خال من السجع الطويل، والسّعي وراء الجدليات العنيفة والآراء المضطربة، والأقوال المتباينة، مراعياً – في خطابه– أحوال الحاضر وأمراض السامعين، دون التحليق بسامعيه وقرّائه بعيدا عن

---

[1]– ينظر: المصدر نفسه ،ص345.

[2]– ينظر: المصدر نفسه ،ص41.

[3]– سورة الإسراء، الآية[36].

[4]– ديوان جرير ،شرح :يوسف عيد ،دار الجيل ،بيروت ،ط 1 ،1413ه/1992م،ص462. وفي هذا البيت :"غربة "في موضع"خيفة "و "يتقوّف"موضع "متقوّف" .

[5]– في مجالس التذكير ،ص99.

[6]– المصدر السابق،ص385-386.

مقتضيات وحاجيات العصر، رادّاً ما وقف أمامه من معارضة أهل الباطل برفق و وقار، دون فُحش أو فظاظة، مبيّناً للناس خطر قولهم وسوء مقصدهم حتى لا يقعوا فيما لا يُرضي الله عز وجل .[1]

أما التقنية التي اعتمدها في تفسيره فهي كما يلي :

1. أنّه ينتخب آية قرآنية أو آيات متعدّدة واضعاً بذلك عنواناً يتناسب وهذه الآيات .
2. يمهّد للقارئ بوضعه في جو النص المراد تفسيره.
3. يورد فضل الآيات المختارة، وسبب نزولها، والمناسبة إن وُجدت .
4. يعمد بعد هذا إلى شرح المفردات القرآنية شرحاً لغويا موجزاً، قصد تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردات الآيات التي انتخبها .
5. تحديد المعنى الإجمالي للنص المــُفَسَّر مستنجداً في بعض الأحيان بوجوه إعراب هذا النص، إن كان يحتمل عدّة وجوه إعرابية، فيورد كل وجه بحسب معناه .
6. أنه يضع بعض العناوين الفرعية الخاصة بكل موضوع من موضوعات الآيات القرآنية (المختارة)، والملاحظ أن هذه العناوين تمثّل مشروع ابن باديس في ربط هداية القرآن مع ما يعانيه المجتمع من مشكلات وأمراض.

على سبيل المثال في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[2]، تحت عنوان: "كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها "، وأدرج تحت هذا العنوان عشرين عنواناً هي : 1/سبيل الرب جل جلاله[3]،2/اهتداء،3/اقتداء،4/أركان الدعوة، 5 /استدلال واستنتاج، 6/اهتداء واقتداء، 7/الموعظة الحسنة،8/الاستدلال،9/بماذا تكون الموعظة، 10/تفريق بالتمثّيل، 11/حسن الموعظة، 12/تطبيق واستدلال،13/اهتداء واقتداء، 14/تحذير،15/الجدال بالتي هي أحسن، 16/اهتداء واقتداء، 17/أحكام وتنزيل،18/علينا الدعوة والجدال وإلى الله الهدى والضلال والمجازاة على الأعمال ،19/تحذير ،20/ثمرة.[4]

---

[1]- ينظر: تفسير ابن باديس منهجه وخصائصه ،باي زكوب عبد العالي ،مجلة الإسلام في آسيا ،ماليزيا ،ص127.

[2]- سورة النحل، الآية[125].

[3]- ينظر: في النسخة التي رتبها: توفيق محمد شاهين و محمد الصالح رمضان يوجد[سبيل الرسل جل جلاله]ولعله خطأ مطبعي لم ينتبها إليه.

[4]- ينظر: المصدر نفسه صفحة الفهرس، ص424-425.

والملاحظ لهذه العناوين أنّها اشتملت على عناوين مرتبطة بالنص المراد تفسيره وأخرى فرعية مثل: اهتداء، اقتداء،استدلال ،استنتاج ...،كما قد يلجأ إلى التقسيم بحسب المباحث أو الفروع وحتى المسائل ،وفي الأخير يختم بلطيفة سواءً كانت دعاء، أو ثمرة تشتمل على دعاء .[1]

هذا مثال بسيط حول التقنية التي اعتمدها ابن باديس في تفسيره (في مجالس التذكير)، ولا بدّ للقارئ الاطّلاع على هذا المصدر النفيس لمزيد البيان والتوضيح.

ثالثاً : خصائص التفسير الباديسي وقيمته :

خرج ابن باديس في تفسيره مجالس التذكير عن الطريقة التقليدية التي كان بعض المفسّرين يسيرون عليها في تفاسيرهم، حيث قال كلمة صريحة حيال هذا الأمر الذي اعتبره نوعاً آخر من هجر القرآن، يقول: « فترى الطالب يفني حصّة كبيرة من عمره في العلوم الآلية، دون أن يكون طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلاً، بل يصير مدرّساً متصدّراً و لم يفعل ذلك !...كأنّ التفسير إنّما يقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية، لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية. فهذا هجر للقرآن مع أنّ أصحابه يحسبون أنفسهم أنّهم في خدمة القرآن ! »[2]

كما كانت نظرته إلى أنّ إصلاح التعليم هو أساس الإصلاح كلّه ، و أن لا صلاح للمسلمين إلاّ إذا صَلُحَ علماؤهم، ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صَلُحَ تعليمهم، و لا يصلُحُ هذا التّعليم إلاّ إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادّته وصورته؛ فيما كان صلّى الله عليه وسلّم يعلّم، وفي الصورة التي كان يعلّم بها.[3]

فهذه النظرة المبكّرة للإصلاح التعليمي عند ابن باديس هي ما جعلت تفسيره يتميّز بعدّة خصائص وميزات، لعلّ أبرزها يتلخّص في النّقاط التالية :

1. كان نتيجة الطريقة التي اعتمدها، وهو أن تفسيره جاء مُنتَظَماً شاملاً، وإن اقتصر فيه على أجزاء متفرِّقة؛ متّخذاً من القرآن وسيلة لهداية المسلمين، قصد النهوض بهم سياسياً واجتماعياً وحتّى ثقافياً.[4] كما سعى إلى كشف شبهات بعض الحقائق التي أُسيء فهمُها، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[5]، يبيّن أنّه كما يُفتن الفرد بالفرد،كذلك تُفتن الأمّة بالأمّة؛ فنحن معشر الأمة الإسلامية فُتنّا بغيرنا من أمم الغرب، وهم فُتِنوا بنا، ونحن على هذا الدين قلّما

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه ، ص327.

[2]- المصدر نفسه ، ص174.

[3]- ينظر: آثار ابن باديس ،عمار الطالبي،مج2، ج1،ص217.

[4]- ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي ،أبو القاسم سعد الله ،ج7،ص21.

[5]- سورة الفرقان، الآية[20].

نرى أنفُسَنا سعداء لا في مظاهر تديُّننا، ولا في أحوال دُنيانا، وهم إن رأونا على هذه الحال ينفرون من الإسلام ويسخرون منه، على عكس ما نراه من ناحيّتهم في أنّهم في عِزٍ وسعادة، وتقدُّم علمي وعمراني، فننظر إلى تلك النّاحية منهم، بل وننـدفِعَ إلى تقليدهم في كلّ شيء ، ونزدري كلّ شيء عندنا حتّى أعزَّ عزيز. إلاّ من نظر بعين العلم فعرف أنّ كلّ ما عندهم من خير، هو عندنا في ديننا وتاريخنا .[1]

2. ساهم منهج التفسير التحليلي الذي اتّبعه ابن باديس، في استنباط العِظات والعِبَر، واستخراج القواعد والنظريات والأسس في التربية والتعليم والإصلاح والاجتماع وسنن الكون، ومن ثَمّ تطبيقها على واقع مسلمي عصره [2]، وعلى سبيل المثال ما استنبطه من تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾[3] ، وهو أنّها : «أفادت، أنّ الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبّباتها، موصِلة من تمسَّك بها إلى ما جُعِلت وسيلةً إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنّته في نظام هذه الحياة والكون. ومن مقتضى هذا: أنّ من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية و لم يأخذ بها لم يَنَل مسبِّباتها ولو كان من المؤمنين، وهذا معلوم ومُشاهَدٌ من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم .»[4]

3. استخدامه منهج التفسير النقدي، لغرض دحض الأفكار التي روّجها شيوخ الجمود و التقليد مما أسهمت في إفراز إسلام عاجز عن توفير أبسط ما يحتاجه المسلم في حياته اليومية، [5] وما يؤكد هذا قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[6] ،«وها نحن قد بلغ الحال بنا إلى ما بلغ إليه الجهل بحقائق الدين، والجمود في فهمه، والإعراض عن العمل به، والفتور في العمل. فحق على أهل الدعوة إلى الله- وخصوصاً المعلمين-أن يقاوموا ما بيّنا من جهل وجمود وإعراض وفتور، بالتزام البيان للحقائق العلمية بأدلتها، والعقائد ببراهينها، والأخلاق بمحاسنها، والأعمال بمصالحها.»[7]

---

[1]- ينظر :في مجالس التذكير ،ص167.

[2]- ينظر: تفسير عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه،باي زكوب عبد العالي ،مجلّة الإسلام في آسيا (ماليزيا)،ص132.

[3]- سورة الإسراء، الآية [18-19].

[4]- في مجالس التذكير ،ص 50.

[5]- ينظر: تفسير ابن باديس منهجه و خصائصه،باي زكوب عبد العالي،ص132.

[6]- سورة النحل، الآية[125].

[7]- ينظر: في مجالس التذكير،ص321.

فالدين في حقيقة الأمر قول وعمل، والالتزام بهذا الأساس من شروط الداعي، والأولى منه أن يلتزم به قبل الدعوة إلى الله تعالى .

4. في هذا التفسير دعوة واضحة إلى أنّ القرآن لا يعارض ولا يتعارض مع العلم، وهو ما وضّحه ابن باديس باتّباعه منهج التفسير العلمي، وأبرز مثال على هذا ما جاء في تفسيره لآية الليل وآية النهار في سورة الإسراء من أنّ: « الليل: هو الوقت المظلم الذي يغشى جانباً من الكرة الأرضية، عندما تكون الشّمس منيرة لجانبها المقابل. والنهار: هو الوقت الذي يتجلّى على جانب الكرة المقابل للشمس فتضيؤُه بنورها. ولا يزالان هكذا متعاقبين على جانب هذه الكرة وأمكنتها...»[1]، بأن يحل أحدهما مكان الأخر، بعد هذا يذكر بعد نقصٍ دقيق ما نصل إليه من خلال هذه الآية؛ فهي دليل قاطع على وجود خالق حكيم قدير لطيف، وأن ما وصلت إليه العلوم اليوم (الفلكية)من ظلام جرم القمر وحموّه أولا، وزواله بالبرودة ثانياً، لم يكن ليُعلَم إلاّ بوحي ممّن خلق الخلائق وعلم حقائقها .[2]

5. اعتماده على الاستدلال، وهو ما أُشير له سابقاً في المنهج الذي اتّبعه؛ فكان يستدلّ بنصوص القرآن الكريم، والسنّة النبوية الصّحيحة، وما أُثِر عن السّلف الصّالح، وقواعد اللغة، وعلوم النّفس والاجتماع...كيف لا وهو من اتّخذ مبدءاً حكيماً للإصلاح والتجديد والتغيير إلى ما هو أفضل .

6. عدم غوصه فيما لا طائل وراءه، من قبيل: أين يقع وادي النّمل في الآية الكريمة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾[3]؛ لأنّ العبرة: «لا تتوقّف على تعيينه فلم يُعيَّن.»[4]

كما يبدي أدباً جماً في التعبّد بالغيبيات، لكن بقدر ما يدل عليه الدليل من الكتاب والسنّة، ويظهر في تفسيره هذا عِفّةُ قلمه ولسانه، والتزامه بالإنصاف وأدب الحوار عند الاختلاف، ورفض التّفسيق والتكفير؛ لإيمانه بعمق دور الكلمة وخطورة هذا الدّور عندما يكتب في ظل قوله جل شأنه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[5]، وبدا التزامه بهذا الأدب واضحاً كلّ الوضوح حتّى مع من يختلف معهم .[6]

فعن دور الكلمة يقول: « فَرُبَّ كلمة واحدة أوقدت حرباً، وأهلكت شعباً أو شعوباً. ورُبَّ كلمة واحدة أنزلت أمناً وأنقذت أمة وأمماً.»[7]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص45.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص46-47.

[3]- سورة النمل، الآية [18].

[4]- في مجالس التذكير،ص261.

[5]- سورة الإسراء، الآية [53].

[6]- ينظر: خصائص التفسير الباديسي ،خالد توفيق، موقع الإمام عبد الحميد بن باديس .

[7]- في مجالس التذكير، ص114.

و القارئ لهذا التفسير يجده تفسيراً لم يسع صاحبه فيه للتّوسّع فيما نُقِل عن النّحاة وعلماء البلاغة وحتّى علماء الشريعة سوى ما دعت الضرورة إليه.

إنّ هذه الميزات وغيرها مما اختُصَّ بها تفسير ابن باديس على غيره من التفاسير، جعلت هذا الأثر العظيم محطَّ أنظار الدّارسين والباحثين في مختلف المجالات دراسة وتحليلاً؛ فعن مكانته يقول أبو القاسم سعد الله: « وإذا نظرنا إلى حجم تفسير ابن باديس فإننا نجده يُمثّل أكبر قدر من كتاباته الفكرية. وقد ظهر فيه ابن باديس باحثاً ناقداً موازناً...ظهر فيه معلّماً رزيناً ومستنبطاً حكيماً، خائضاً في مسائل العقائد الإسلامية والأفكار المعاصرة، وهكذا يصبح تفسير ابن باديس مصدراً أساسياً للفكر الإصلاحي في الجزائر، وربّما مصدراً للفكر الإصلاحي الحديث عموماً .»[1]

وليس هذا فحسب، بل إنّ هذا الأثر يحمل في طيّاته فلسفة تربوية أساسها إنّما تُبنى توجُّهات السياسة التعليمية على مبادئ المجتمع وقِيَمِه العليا وتطلّعات أبنائه، وهذه الحقيقة ملموسة في جميع أعماله وليس في دروس التفسير وحسب .[2]

والحقيقة التي يجب أن تقال هي أنّ تفسير ابن باديس يمثِّل نموذجاً صادقاً عن فهمه للقرآن الكريم وتفسيره له؛ لما له من أهمية في إصلاح حال هذه الأمة، وهو نموذج لأسلوبه الكتابي والخطابي، وهو بحق مدوّنة لغوية هامة وعى صاحبها -من خلالها – حال اللغة العربية في عصورها المتأخرة. فحريٌّ بالدارسين والباحثين أن تُكثَّف جهودهم لكشف المزيد من مكنونات ومكنوزات هذا العطاء الزاخر .

[1]- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله ،ج7، ص21.

[2]- ينظر: منهج ابن باديس الإصلاحي وأثره في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية، قلايلية العربي، ص 106، مجلة عصور، ع2، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ديسمبر،1423هـ/2002م.

الفصل الثاني: تجليات المعالجة النصية في تفسير ابن باديس .

أولا: النظرة الشمولية للقرآن الكريم .

ثانيا: القواعد العامة التي التجأ إليها ابن باديس في التحليل.

ثالثا: تحليل نص من تفسيره (المعوذتين أنموذجا).

تم الإشارة في الفصل الأول إلى المنهج الذي اتّخذه الشيخ عبد الحميد في تفسيره، وطريقته في ذلك، ووصلنا إلى أنّ هذا التفسير يعتبر أوّلاً وقبل أي شيء مدوّنة لغوية، وسيُعرَض في هذا الفصل أهم ما اشتملت عليه نظرة ابن باديس للنص القرآني وصفاً وتحليلاً.

أولاً : النظرة الشمولية للقرآن الكريم:

من ما سبق تبيّن أنّ من جاء في عصر النهضة من المفسّرين حاولوا اتّخاذ منحى جديد للعناية بالنص القرآني؛ لأنّ من سبقهم لم يتركوا لهم ما يقومون به في تفاسيرهم، فما حقيقة هذه النظرة التجديدية ؟ وهل احتفظ التفسير بالوظيفة نفسها التي عُرِف بها سابقاً؟

تبرز حقيقة هذا التجديد في أنّه استلهام آيات القرآن الكريم في التوجيه والهداية، في كل ما يعترض حياتنا وما يمسّ العقيدة أو الأخلاق، أو ما يدخل في بناء اجتماعنا وسياستنا واقتصادنا ... ما يؤكّد وفاء هذا النص لحاجة البشرية، سواء ما نأخذه منه من قيم أو ما يدل عليه من آراء ومعتقدات أو ما يوحي به من أفكار علمية أو اجتماعية...[1]

من هذا المنطلق يتّضح أنّ وظيفة التفسير في هذه الفترة (عصر النهضة أو العصر الحديث) تغيّرت عن سابق عهدها؛ ذلك أنّ المفسّر مال إلى التطبيق العملي في التفسير، معتنياً بالآيات القرآنية متوسّعاً في تفسيرها طالباً علاج مشكلات مجتمعه، فهو بهذا ينظر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه، ويتعرّف على علّته حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا وجده توسّع في شرحه وبيانه وحثّ قومه على التزامه .[2]

فهذا جانب من جوانب التجديد في التفسير، ولون من ألوانه (الإصلاح الاجتماعي)، صفة المفسّر فيه أنّه على ذكر دائم بواقع أمّته، يسلك طريقاً يجنّب فيها القارئ التفصيلات البيانية أو اللغوية، التي قد تثقل هذا القارئ على متابعة الهدف الذي يحرص المفسّر على إبرازه ،بأن يتجاوز ذلك كلّه إلى محاولة إدراك ما يمكن أن يطلق عليه اسم النظرة الكلية للقرآن أو المفهوم القرآني .[3]

والشيخ عبد الحميد بن باديس بوصفه أحد رجالات المدرسة الإصلاحية الاجتماعية، يرى كما يرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّ الصّلاح والفلاح للمجتمع إنّما يكون بالعودة إلى الدين الصحيح، والرجوع لكتاب الله عزّ وجلّ بفهمه فهماً صحيحاً، كما فَهِمه سلف هذه الأمة ومتقدّميها. وقد سبق فيما ذُكِر من أنّ الوسيلة

---

[1]- ينظر: مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق ،منصور كافي ،دار العلوم للنشر و التوزيع ،عنابة،(د-ط)، 1427 ه/2006م،ص118.

[2]- ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ،فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ،ص105.

[3]- ينظر: مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق ،منصور كافي ،ص120-121.

التي اتّخذها الإمام عبد الحميد هي تفسير القرآن الكريم، كما أُشير إلى مفهوم التفسير عنده. والسؤال المطروح هنا كيف كان فهمه للقرآن الكريم ؟

ينطلق الشيخ عبد الحميد بن باديس في فهمه للنص القرآني من كونه النص الذي أعجز العرب ببلاغته، وهي ناحية ظاهرة في إعجازه و الاستدلال به، له ولمن جاء به (صلى الله عليه وسلّم)، وناحيته الأخرى وهي الناحية العلمية فيما أنبأ به من أسرار الأمم الخالية، وبيّن من أسرار الكتب الماضية، وما أنبأ به من أحداث مستقبلة، وما ذكر من حقائق كونية كانت قبل عهد نزوله مجهولة، كالزوجية في كل شيء، وسبح الكواكب في الفضاء ...[1]

وغير هذا من أسرار العمران و الاجتماع، وما تصلح عليه حياة الإنسان. فكل هذه الأسرار اشتمل عليها كتاب ما هو بقول بشر (أو مخلوق).

هذا هو المبدأ الأساس الذي يجب على كل من أراد التصدّي للكتاب العزيز تفسيراً كان أو دراسة أن يضعه نصب عينيه؛ وهو قدسيّة هذا النص وتعاليه عن كلام البشر أياً كانوا.

يذهب ابن باديس إلى أنّ القرآن الكريم أفضل الأذكار لما أُثِر عن النبي (صلّى الله عليه وسلم)، وعلى هذا فالذكر ثلاثة: قلبي ولساني وعملي، والقرآن محصّل لهذا كلّه؛ وقد بيّن ذلك كما يلي:

أ –القرآن والذكر القلبي :

المتدبّر لآيات الذكر الحكيم عليه أن يكون في حال تفكّر في مخلوقات الله وما فيها من حِكَمٍ ونِعَمٍ، وما فيها من معاني أسمائه وصفاته ومظاهر رحمته وإحسانه وبطشه وانتقامه، وأسباب ثوابه وعقابه، وفي مواضع رضاه وسخطه.كما يكون متبصّرا في عقائده، خبيراً بأدلّتها، وردّ الشُّبه عنها، وعليه أيضا أن يستحضر ربّه في قلبه باستحضار حقوقه ونِعمه وآلائه. وقد تضمّنت آي القرآن هذا كلّه على أكمل بيان وأوضح برهان .[2]

لهذا فإنّ الشرط الأساس لتحقّق الذكر القلبي هو التدبّر للآيات القرآنية وما تتضمّنه من معاني وحِكم وعقائد وأخبار أمم ...، والتَّفكُّر فيما خلق الله في هذا الوجود من مخلوقات على اختلافها، والإيمان الصادق بأنّ الله برحمته وغفرانه يقابلها بطشُه وانتقامه ...

[1]- ينظر: في مجالس التذكير ،ص160 وص293-294.

[2]- ينظر: المصدر نفسه،ص32.

ب – القرآن والذكر اللساني:

حقيقة ثانية يوضّحها ابن باديس في اشتمال القرآن على أفضل الأذكار اللسانية: من تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتمجيد، واستغفار، ودعاء، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ فتاليه يكون ذاكراً بهذه الأذكار كلّها .[1]

إذا كان تالي القرآن مُتدبّراً مُتفكّراً مُستحضِراً ربّه في قلبه؛ فإنّ اللسان هو تُرجُمان ذلك القلب بما فيه من تهليل، وتكبير، وتحميد...، فيؤكّد ما في القلب اللّسان .

ج – القرآن والذّكر العملي :

من ثمرات تلاوة القرآن بالتّدبّر ضمان التوبة والإنابة والخوف والرجاء لتالي القرآن؛ الشيء الذي يؤكّد استقامة هذا التالي في سلوكه ولو بعض الشيء .[2]

فكما أن اللسان تُرجُمان القلب فكذلك القول يعضده العمل، والصدق والإخلاص فيه يتبعُه الصدق والإخلاص في العمل أيضاً. ما يؤكّد هذا بيان النبي (صلى الله عليه وسلّم) للقرآن نفسه؛ فقد كان بيانه له بالقول والعمل، ودليل هذا جواب أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)حين سُئلت عن خُلُق النبي (صلى الله عليه وسلّم)فقالت :"كان خُلُقه القرآن".

فالخُلُق سلوك وحُسنُه حُسنٌ لقول صاحبه، و النّبي (صلى الله عليه وسلّم)أكمل العباد كمّلهُ الله عزّ وجل الكامل المـــكمِّل.

ينعطف مضيفاً لكون القرآن الكريم محصِّل لكل ما سبق على أكمله، من أنّه (كتاب الله تعالى)مناراً للهدى وسبيلاً للهداية، ومنهاجاً لما فيه من مصالح العباد في المعاش والمعاد...، إلى ما تقصر عن عدِّه الألسنة وتعجز عن الإحاطة به الأفهام .[3]

وهو كتاب الهداية والنذارة، هو: « شفاء للاجتماع البشري،كما هو شفاء لأفراده: فقد شرع من أصول العدل، وقواعد العمران، ونظم التعامل، وسياسة الناس، ما فيه العلاج الكافي، والدواء الشافي لأمراض المجتمع الإنساني من جميع أمراضه وعلله. »[4]

من هنا يتأكّد التزام ابن باديس مبدأ الإصلاح الاجتماعي من خلال عمله هذا ؛ لتحقيق هدفه المنشود،أما إذا نظرنا من جانب آخر كون القرآن الكريم نصّاً؛ فإنّ ابن باديس يصرّح بهذا في أكثر من موضع. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ

---

[1]- ينظر :المصدر السابق،ص 32.

[2]- ينظر: المصدر نفسه الصفحة نفسها.

[3]- ينظر: المصدر نفسه ،ص32.

[4]- المصدر نفسه،ص143-144.

كَانَ مَشْهُودًا ﴾[1]، يبيّن بأنّ الآية انتظمت أوقات الصّلوات الخمسة، و أنّ ثبوت مزية تخصيص صلاة الفجر في الآية بجملة التذييل المؤكّدة لإقامة صلاة الفجر في الآية:﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾، قطعيٌّ بنص القرآن، وتبقى الفجر ممتازة بتخصيصها بالتأكيد في نص الكتاب وكفى هذا مُرجِّحاً لها.[2]

وهنا تأكيد لمفهوم النص عند علمائنا من أنّه :ما يدلّ عليه ظاهر لفظهما (نص القرآن ونص السنة) من الأحكام؛ فانطلاقاً من تخصيص صلاة الفجر بالتأكيد ثبت أفضليتها.

على غرار هذا، يعتبر ابن باديس الآية الواحدة نصّاً، دليل هذا تصريحه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[3]، يقول: « هذه الآية نص صريح في أنّ الجهاد في الدعوة إلى الله و إحقاق الحق من الدين وإبطال الباطل ...، هو بالقرآن العظيم. »[4] ؛أي تأكيد عودة ضمير الهاء على القرآن الكريم، الذي تكون به الدعوة ويكون به الجهاد.

و لابن باديس بحثٌ تفصيلي حيال فواتح السور (الأحرف المقطّعة)، إلاّ أنّ الاهتمام يتركّز هنا حسب ما يراه من أمر الفواتح بالنسبة للنص القرآني ككل؛ إذ يعتبر أنّ عدم فهم معنى بضع عشرة كلمة افتُتِحت بها بعض السور، لا يُخِلُّ ببيان القرآن؛ لأنّ مِن لُطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حدّاً، فهذه حقائق خفية عن العقل البشري، وهي بهذا لم تقدح في دلالة آيات الأكوان، على ما دلّت عليه من وجود الخالق ووحدانيته، وقدرته، وعلمه، وحكمته ...، وفي مقابل هذا لا زال الإنسان يصل — بتيسير من الله — بالنظر في الآيات القرآنية، بعقله إلى إدراك بدائع عجيبة وأسرار غريبة، ما تزال تتجلّى له ما دام يتأمّل فيها ويعتبر بها، والقرآن مع يقينه بما عُلِمَ منه من أسرار، هو مثل ما عُرِفَ في كماله في الحق والنعمة والحكمة؛ إذ الجميع من إله واحد حكيم خبير.[5]

كما أشار إلى حقيقة أخرى تعدّ من صلب الدراسة النصية أو البحث النصي، وهي ارتباط القرآن بعضه ببعض، جاعلاً هذا من الشروط التي يجب على القارئ وضعها في حُسبانه يقول: «وعلى كل قارئ لكتاب أن يستوفي ما يرتبط بعضه ببعض منه، ثم يُبدي رأيه فيه. »[6]

من كل ما سبق تتحدّد محصِّلة فهم ابن باديس للقرآن الكريم بحركيّته وحيويّته واستمراريّته، وتفاعله النّاشئ بينه وبين ما بَلغَهُ ويبلُغُه الإنسان من اكتشافات في سنن الكون والاجتماع، وما يقوم عليه منهاجه من

---

[1]- سورة الإسراء ،الآية [78].

[2]- ينظر:في مجالس التذكير ،ص132-134.

[3]- سورة الفرقان ،الآية [52].

[4]- في مجالس التذكير،ص188.

[5]- ينظر: المصدر نفسه ، ص283-285.

[6]- المصدر نفسه،ص344.

أساس بيان المبادئ الكلية والقواعد العامة، انطلاقاً من ما يتّسم به من شمول وإحاطة؛ فهو (القرآن) نص شامل، كامل متكامل، جامع...لا يبلغ درجته هذه أي نص آخر .

ثانياً : القواعد العامة التي التجأ إليها ابن باديس في التحليل:

أ – العناية بالمناسبة والعلاقة بين السور القرآنية:

ينبغي بداية الإشارة إلى أنّ المقصود بالمناسبة هنا، لا يعني ما يلزم نزول آي القرآن الكريم من أحداث (سبب النّزول)؛ بل المقصود هو مناسبة ترتيب سور القرآن الكريم وتوزيعها كما هي في المصحف الشّريف، وكذلك ترتيب آياته المـــُحكَمات بالصورة التي هي عليها في تماسكها وتناسبها .

من هذا المنطلق يتأكّد أنّ ترتيب السور في المصحف وترتيب الآي في السورة الواحدة وغيرها من السور ليس أمراً اعتباطياً، وهو ما جعل علماء علوم القرآن يخصِّصون كتباً وبحوثًا قيِّمة لبحث هذا الموضوع، من هؤلاء الحافظ جلال الدين السيوطي الذي اعتبر: « القاعدة التي استقرّ بها القرآن: أنّ كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له و إطناب لإيجازه. وقد استقرّ معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها . »[1]

فالقاعدة التي وضعها السيوطي الظاهر منها اتّخاذه الجانب العلائقي أساساً للتّرتيب. وربّما كانت هذه القاعدة وسيلة استقرائية فعّالة لأجل إثبات أنّ هذا الترتيب توقيفي وليس اعتباطياً.[2]

ينطلق ابن باديس من هذه الخلفية في اعتقاده بعلم المناسبات ووجود علاقة ما بين السور؛ فتصوّره من هذا القبيل، حيث يذهب إلى أنّ ترتيب السور توقيفي، ليس من صنيع جامعي المصحف. وهذه العلاقة من شأنها استخراج واستيلاد ما لا يحصى من المعاني شرط التدبّر .[3]

من الوجهة التطبيقية يقدّم ابن باديس مثالاً لأهمية علم المناسبة في تفسيره للمعوّذتين مضيفاً لهذا، السِّر في الختم بهما، وهي خصوصية لهما. وبذلك: « يستطيع دارس القرآن ومتدبّره ومتقلّبه، بالذهن المشرق والقريحة الصافية، أن يستخرج من الحِكَم في هذا الختم بهما أنواعاً. ولكن أجلاها وأوضحها: أنّهما ختم على كنوز القرآن في نفس المؤمن، وتحصين لهذه النّعم المـــُنشَأة له من القرآن عليه. »[4]

---

[1]– تناسق الدرر في تناسب السور ،جلال الدين السيوطي ،تحقيق :عبد القادر أحمد عطا ،دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان، ط1 ،1406هـ/1986م،ص65.

[2]– ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط1، 1991م ، ص197.

[3]– ينظر:في مجالس التذكير ،ص369.

[4]– المصدر نفسه ،ص369.

ويمضي بعد تعداد هذه الحكم ليختم قوله عن المناسبة بين جميع سور القرآن: « هذه هي المناسبة العامة بين جميع القرآن مرتّباً ترتيبه التوقيفي، وبين هاتين السورتين في اتّحاد موضِعهما .»[1]

فحديثه عن الختم دليل على الترتيب، ومناسبة الترتيب تفضي إلى استخراج عديد الأنواع من المعاني والحكم منها ما ذكره من أنّهما (المعوذتين) ختم لكنوز القرآن في نفس المؤمن، وتحصين له لما هو فيه من النِّعم كان القرآن سبباً فيها .

ثم ذكر ما بين السُّور الثلاثة (المعوذتين وسورة الإخلاص) من المناسبة الخاصة؛ من أنّ سورة الإخلاص عرّفت الخلق بخالقهم لما فيها من التّوحيد والتّنزيه والتّمجيد، والقارئ المتدبّر للقرآن على ترتيبه يجد هذا التوحيد منبثّاً في آيات القرآن وسوره؛ لتكون آخر مرحلة يقطعها فكره (قارئ القرآن)من مراحل التّوحيد في القرآن، هذه السورة المعجزة على قِصرها، ومن صدقه في توحيده لله (ربوبية وألوهية)يخرج من هذه السورة متشبّعاً بمعانيها شاعراً أنّ العالم كلّه في عجز وقصور؛ لتجيء المعوذتان بعد الإخلاص مُبيِّنتين لذلك الالتجاء إلى الله والانقطاع عن الكون وهو من تمام التّوحيد. ولأجل هذه المناسبة والارتباط بين هذه السور جُمِع بينهن في التسمية .[2]

فالمناسبة انطلاقا من هذا تُسهِم في إيجاد علاقة بين المتناسبين، وربط البعض بالبعض الآخر؛ فيكون هذا الربط من جهة اللفظ أو المعنى، أو من جهتهما معاً.

تبرز أهمية المناسبة في أنّها توصل إلى العلاقة، التي بدورها تقتضي وجود مرجعية من أحد المتناسبين، وبتحقّق هذه المرجعية، يتحقّق التماسك بين المترابطات. من هنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة و التماسك النصي وإسهامها في التحليل النصي .[3]

ب – العطف:

وهو أحد التوابع، ومن أكثرها وروداً في القرآن؛ وهو من جهة النحو يعني: اتّباع لفظ لسابقه بواسطة أحد أحرف العطف (الواو،الفاء ،ثم ،حتّى ،أم،بل...)ويسمى هذا العطف عطف نسق .[4]

---

[1]– المصدر السابق ،ص370.

[2]–ينظر: المصدر نفسه ،ص370-371.

[3]– ينظر:أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي دراسة تحليلية في سورتي آل عمران و النساء ،إعداد:عبد السلام أمين الله أتو تليطو وعمر موسى غدن ،ص11-12،مداخلة ألقيت في المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس :2) 22و2012/2/23م، tafsir.net/forum 31/thread 30374-3.html .vb ،2013/5/29م ،سا:12:00.

[4]– ينظر:موسوعة علوم اللغة العربية ،إعداد:إميل بديع يعقوب ،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، ط1 ،2006م، ج6 ،ص421.

وقد نال حظّه الوافي من الدراسة في القديم والحديث؛ فكما عنى به العقل البشري العربي اعتنى به علماء النص كذلك. إلاّ أنّ القدماء البلاغيين حاولوا ربط العطف بقضية الوصل والفصل، وعرضوا القضية على ثلاثة محاور :

-كمال الاتّصال :لا يجوز فيه العطف.

-كمال الانقطاع:لا يجوز فيه العطف أيضاً.

- التوسّط بينهما :يعني وجود جهة جامعة تُجيز العطف ،وهذه هي الحالة الوحيدة التي أجازوا فيها العطف.[1]

لهذا فالشرط الوحيد لتحقّق العطف هو وجود سبب أو علاقة بين المعطوفين؛ فكمال الاتّصال وكمال الانقطاع يتّصل بالتّوابع، والتابع إمّا كامل الاتّصال بمتبوعه، فيتزل منه متزل جزئه فلا يحتاج إلى رابط (توكيد، عطف بيان، صفة)، وإمّا كامل الانقطاع عنه فيتزل منه متزلة ما لا علاقة له مع ما قبله ، فلا يحتاج- أيضا- إلى رابط (بدل) .أمّا إذا كان في حالة التّوسط ، فيحتاج إلى رابط وهذا هو المعطوف عطف نسق .[2]

والعطف قسمان :عطف المفرد على مثله وعطف الجمل؛ يوضّح هذا الزركشي في قوله: « فأمّا عطف المفرد ففائدته مشاركة الثاني للأول في الإعراب، ليُعلم أنّه مثل الأول في فاعليّته أومفعوليّته؛ ليتّصل الكلام بعضه ببعض. أمّا عطف الجملة، فإن كانت الأولى لا محل لها من الإعراب فكما سبق، لأنّها تحلّ محلّ المفرد .نحو: مررت برجلٍ خُلْقه حسَنٌ وخُلُقه قبيحٌ، و إن كان لا محلّ لها نحو: زيد أخوكَ و عمرو صاحبك، ففائدة العطف الاشتراك في مقتضى الحرف العاطف، فإن كان العطف بغير الواو ظهر له فائدة من التعقيب كالفاء، أو الترتيب كـ:(ثم) ، أو نفي الحكم عن الباقي كـ(لا).»[3]

من هنا تتحدّد وظيفة العطف في: وصله الكلام بعضه ببعض، والاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه، وإبراز أهمية أدواته كونها: « علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل، وتبيّن مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص .»[4]

من كل ما سبق الإشارة إليه –حول قضية العطف–يتجلّى إدراك ابن باديس للقضية؛ لاعتبار هذه القواعد من صميم التفسير، فعن ربط هذه القضية بالوصل والفصل يستند ابن باديس لهذه القاعدة لإدراك مابين الآيات من كمال الاتّصال أو الانقطاع، ومثال هذا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

---

[1]- ينظر:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،صبحي إبراهيم الفقي،ج1،ص247.

[2]- ينظر:المرجع نفسه،ص250.

[3]- البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين الزركشي ،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة دار التراث ،القاهرة ،(د-ط)، (د-ت)، ج4،ص102.

[4]- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً ،الأزهر الزنّاد ،المركز الثقافي العربي ،بيروت /الدار البيضاء،ط1 ،1993 م، ص37.

ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[1]. يقول: « وجملة ﴿إِنَّ عَذَابَهَا ﴾تعليل للجملة الدّعائية، وفُصِلت عنها لكمال الانقطاع بينهما. وجملة: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ ﴾ مؤكّدة لمضمون الجملة قبلها مع اختلاف في المعنى: فإنّ ما أفادته الأولى من فداحة عذابها وملازمته، أكّدته الثانية بما أفاده من مقامه ومستقرّها، ففُصِلت عنها لما بينهما من كمال الاتّصال نظير: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾[2] .»[3]

أما عطف الجملة فقد أشار إليه في عديد المواضع من بينها:

الوصل بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[4]، فالجملة ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾: « وُصِلت بما قبلها بالواو لاشتراكهما في القصد وهو التعريف بالرحمن وعباده ... فكان المعطوف على الصّلة بصورة الشّرط.»[5]

كما أنّ من بيان القبيل أن عُطِفت جملة ﴿سُبۡحَٰنَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[6]، على جملة ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾.[7]

وغير العطف بالواو ،يشير ابن باديس إلى وظيفة حرف الفاء في إبراز دلالة قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾[8]، يقول: « فما كان الليل والنّهار إلاّ باعتبار إضاءة الشّمس لجانب، وعدم إضاءتها لمقابله. فليست الفاء في (فمحونا) للتّرتيب في الوجود، وإنّما هي للتّرتيب في الذّكر، وللتّرتيب في التّعقُّل: فإنّ القمر والشّمس بعض من آيات الليل والنّهار، والجزء متأخّر في التّعقّل عن الكل.»[9]

---

[1]- سورة الفرقان، الآية [65-66].

[2]- سورة البقرة، الآية[02].

[3]- في مجالس التذكير ،ص200.

[4]- سورة الفرقان، الآية [63].

[5]- في مجالس التذكير،ص194.

[6]- سورة يوسف، الآية [108].

[7]- ينظر: في مجالس التذكير،ص317.

[8]- سورة الإسراء، الآية [12].

[9]- في مجالس التذكير،ص46.

وعليه فمحو آية الليل، يفيد إزالة الضوء منها، فصار بعد هذا مظلماً، وتشير الآية إلى أنّ نوره مكتسب؛ فهو من الشّمس .[1]

من هنا يُلاحظ أنَّ ابن باديس تعدّى النّظر للجملة الواحدة، بذكر العلاقة بين أكثر من جملة، وهو بهذا يقترب من تحليل النص .

ج – الحذف ووظائفه:

يتّجه المعنى اللغوي لمادة (ح ذ ف)إلى القطع من الطرف والإسقاط لدليل. [2]ولأهميته، لا تجد مؤلّفاً من المؤلّفات العربية في علوم النحو أو المعاني، وفي إعجاز القرآن وتفسيره يخلو من الحديث عن هذه الظاهرة التي هي أحد عوامل تحقّق التماسك النصي .

وأنماط الحذف متعدّدة؛ فهناك: حذف الاسم، وحذف الفعل، وحذف الحرف أو الأداة، وحذف الجملة، وحذف الكلام بجملته وحذف أكثر من جملة .[3]

و تكمن فائدة الحذف في: التفخيم والإعظام، وزيادة التّشويق بسبب ذهاب الذّهن إلى معرفة المحذوف، وزيادة اللّذة في استنباطه، وزيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك، وطلب الإيجاز والاختصار، والتّشجيع على الكلام .[4]

هذه الفوائد وغيرها ممّا يقصده المتكلّم، تُكسِب الكلام خِفّة وقوة، وتجنّبه ثِقل الاستطالة؛ فالاختصار من الأمور التي لها أهمية بالغة في تقوية العبارة و الإسهام في تماسكها . [5]

يقوم السبك بالحذف على ثلاثة محاور أساسية:[6]

---

[1]– ينظر: المصدر السابق، ص47.

[2]– ينظر :لسان العرب، ابن منظور، مادة(ح ذ ف)، اعتنى به:محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، ط 3، 1419ه/1999م،ج3،ص93. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص102.

[3]– ينظر:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،صبحي إبراهيم الفقي ،ج 2، ص 191–196.للتّوسع في الموضوع ينظر:البرهان في علوم القرآن،الزركشي،ج 3،ص102–232.و الإتقان في علوم القرآن،السيوطي، اعتنى به:مصطفى شيخ مصطفى،ص541–548.

[4]– ينظر:البرهان في علوم القرآن ،ج3،ص104–105.

[5]– ينظر :السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام،جزء من بحث متطلّبات شهادة الماجستير،إعداد:أحمد حسين حيال،إشراف:محمد عليوي الشّمري،جمهورية العراق، الجامعة المستنصرية،كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 3/محرم/ 1433ه–29/تشرين الثاني/2011م،ص82–83.

[6]– ينظر :علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،صبحي إبراهيم الفقي،ج2،ص200–203.

1) التكرار، بعد تقدير وإعادة المحذوف.

2) المرجعية بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور وتكون قبلية أو بعدية، وهي إما مرجعية داخل النص (مقالية) أو خارجه(مقامية).

3) وجود دليل أو قرينة تشير للعنصر المحذوف، وهو يمثّل علاقة مرجعية داخلية، ومن هذا المنطلق تتأكّد أهميته في التماسك النصي.

لا يُغفِل الشيخ عبد الحميد بن باديس هذه القضية لأهميّتها البالغة في استنباط المحذوف وإدراك العلاقة بينه وبين المذكور، وقد أشار إلى الظاهرة في عديد المواضع من بينها:

أ - الحذف الذي يُقصد منه الإيجاز في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[1].يقول: « فالأصل أنزلناه كذلك، فأوجز بحذف المتعلّق لوجود ما يدلّ عليه من إعراضهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾، وفُصِل؛ لأنّه جواب عن اعتراضهم .»[2]

ب - حذف جواب لولا في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[3] لدلالة ما تقدّم، وتقدير الكلام: لولا دعاؤكم ما عبأ بكم .[4]

ج - الإيجاز في الكلام بالحذف في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[5]، إذ المعنى: فجاء الهدهد فسأله سليمان عليه السلام عن سبب مغيبه فقال:.....[6]

د - كذلك من وظائف الحذف عنده: تقوية المعنى المراد من الآية، ومثال هذا قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[7]؛ فأصل الكلام: أحصينا

---

[1]- سورة الفرقان، الآية[32].

[2]- في مجالس التذكير ،ص178.

[3]- سورة الفرقان، الآية [77].

[4]- ينظر:في مجالس التذكير،ص244.

[5]- سورة النمل، الآية [22].

[6]- ينظر:في مجالس التذكير،ص270.

[7]- سورة يس، الآية[12].

كل شيء أحصيناه، حُذِفت أحصينا الأولى لدلالة الثانية، وكان هذا أقوى في ثبوت الإحصاء ووقوعه على كل شيء.[1]

ه – إفادة العموم في حذف معمول (أُدْعُ)في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[2]؛ بأن أمر نبيّه أن يدعو الناس أجمعين.[3]

و – حذف مفعول يدافع في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾[4]، ليشمل كيد جميع الكائدين.[5]

من ما سبق يتّضح أنّ ابن باديس تفطّن لأهمية الحذف، انطلاقا من الفوائد التي عرفها (الإيجاز، تقوية المعنى المراد من نص الآية، التعميم...)، وهو بهذا يُسهِم في تماسك النص القرآني،كون المفسّر يبذل جهدا في استنباط المحذوف وتقديره والبحث عن العلاقة بينه وبين المذكور في النص؛ فتكرار المحذوف بعد تقديره في المثال الرابع: أحصينا كل شيء أحصيناه، ربطه بوظيفة التكرار (التقوية، التوكيد...)، فحُذِف لوجود ما يدل عليه في السياق القرآني اللغوي .

د – التكرار ووظائفه:

التكرار من الظواهر التي تتّسم بها اللغات على العموم والعربية خصوصاً، وهو يتحقّق على مستويات متعدّدة كتكرار الحرف، تكرار الكلمة، تكرار العبارة، تكرار الجمل، تكرار القصص والمواقف...وهو واقع في القرآن الكريم ،[6] في جلاء ووضوح يتبيّن للتالي رونق وجمال النص القرآني به.

يسند المعنى اللغوي للفظ (تكرار) إلى: «مصدر كرر إذا ردّد وأعاد؛ هو "تَفْعَال" بفتح التاء، وهو غير قياسي، والقياس فيه (تفعيل)تكرير .»[7]

فمن معانيه الإعادة والتّرديد، الإعادة بالرجوع إلى ما سبق ذكره في النص بتكريره مرة أخرى، وقد ذكر الزركشي أنّ من أسباب كونه من أساليب الفصاحة ومحاسنها: تعلّق بعضه ببعض، حيث تظهر فائدته

---

[1]– ينظر:في مجالس التذكير،ص309.

[2]– سورة النحل، الآية [125].

[3]– ينظر:في مجالس التذكير،ص319.

[4]–سورة الحج، الآية[38].

[5]– ينظر:في مجالس التذكير، ص351.

[6]– ينظر:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ج2، ص17.

[7]– البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص08.

العظمى في التقرير، كما قيل: الكلام إذا تكرّر تقرّر، وله فوائد أخرى منها: التأكيد، زيادة التنبيه ليكمل تلقي الكلام بالقبول،تعدّد المتعلّق ....[1]

فالمتعلّق إذا تعدّد يقتضي وجود رابط يضم هذه المتعلّقات، ما يؤكّد تماسكها؛ لتلقى في الأخير قبولا من طرف المتلقي.

ما يؤكّد هذا اعتبار محمد خطابي التكرار بأنه: «شكل من أشكال الاتّساق المعجمي، يتطلّب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اِسماً عاماً.»[2]

إذا نظرنا في تفسير ابن باديس وجدنا لظاهرة التكرار حضورها في إبراز المعنى وتوكيده ...، فقد اعتنى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، بتكرير (يستأذنون)في الجملة الثانية؛ لبيان أنّ الذين يستأذنون هم دون غيرهم الثابتون في إيمانهم، المستمرّون عليه، وتعريضاً بالذين لا يستأذنون بأنّهم ليسوا مؤمنين. ولا بالذين آمنوا .[4]

ز - تكرار لفظ الناس في سورة(الناس)، ومجيء السورة بهذا الاسم. فغرضه -في نظره-: « توضيح المعنى وإلفات النّفس إليه، وإيقاظ شعورها به، والتسجيل على الناس بأنّ لهم ربا هو مالكهم وإلههم .»[5]

ح - التّدرّج في توضيح معنى (الطيّب) وحكمه في آيات الذّكر الحكيم ؛فجاء الطيّب في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[6]، بمعنى ما صلح واعتدل في نفسه وكان مستلذاً للنفوس، سواء أكان مما يدرك بالسمع، أو بالبصر، أو بالذوق، أو بالشم، أو باللمس، أو بالعقل. فهو اللّذيذ لذة حسية وعقلية، ويقابله الخبيث المستقذر حساً وعقلاً؛ فجاء حكم الطيّب(حلال) والخبيث(حرام) في الآية الكريمة: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾[7]، لهذا صار الطيّب في لسان الشّرع يجيء كثيراً بمعنى الحلال، ويكون ضدّه الخبيث بمعنى الحرام، ومنه: ﴿ كُلُواْ مِنَ

---

[1]- ينظر:المصدر السابق، ص9-18.

[2]- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص24.

[3]- سورة النور، الآية [62].

[4]- ينظر:في مجالس التذكير،ص334.

[5]- المصدر نفسه،ص382.

[6]- سورة المؤمنون، الآية [51].

[7]- سورة الأعراف، الآية [157].

ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾المحلّلات، ويخرج من هذا ما ليس مِلْكُك؛ لأنّه ليس طيّباً لك شرعاً، فهو مستقذر من العقل بما فيه من التّعدّي المستقبح في العقل (تناوله دون إذن صاحبه).كما يجيء الطيّب بمعنى الجيّد، والخبيث بمعنى الرديء، وعليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1].[2]

فالطيّب في الآيات المتقدّمة يدل على الجيد (الحلال) المستلذ حسياً ومعنويّاً في مقابل الرّديء، الخبيث المستقذر (الحرام)، وعلاقة كل هذا بالإنفاق والكسب، أو قل بالعمل الصالح، رجاء ثمرة ذلك؛ فهو كما قال تعالى مؤكّداً: ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ بيّن الطيّب بتكرارها في هذه الآيات، والمرجوّ منّا الإتّباع في المأمورات واجتناب المنهيات.

من الأشياء الأخرى التي أشار إليها ابن باديس، وهي شديدة الصلة بتماسك وانسجام النص القرآني، نوجزها في الآتي:

ط – مطابقة السياق اللغوي (القرآني)للسياق الخارجي (الغير لغوي)، أو حسب ما عبّر عنه بقوله: المطابقة بين الصورة اللفظية والصورة الخارجية؛ لأنّ الكلام تصوير للواقع، ومثال هذا قوله جل شأنه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]؛ فنكتته الإعلان بنفسه في مقام الدعوة الذي يقتضي الجهر لا الاستتار، وهو ما يدل عليه قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ .[4]

ي – همزة التسوية، وهي عنده أداة من أدوات السبك؛ ففي الآية الكريمة: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[5]، أصل الهمزة الأولى الاستفهام، لكنّه ليس المراد هنا، فتسمّى في مثل هذا التركيب همزة التّسوية لوقوعها بعد لفظها (سواء)، ودخولها على أمرين يُراد التّسوية ما بينهما. ولذا يكون تأويل الكلام: سواء عليهم إنذارك وعدم إنذارك.[6]

ك – ترتيب الخطاب، وجاء عنده بلفظ ترتيب النظم. مثال هذا: تقديم رتبة الليل وآيته على رتبة النهار وآيته في الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ

---

[1]– سورة البقرة، الآية[267].

[2]– ينظر:في مجالس التذكير،ص353.

[3]– سورة يوسف، الآية [108].

[4]– ينظر:في مجالس التذكير،ص316.

[5]– سورة يس، الآية[10].

[6]– ينظر: في مجالس التذكير،ص303.

فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَهُ تَفْصِيلاً ﴾[1].لأنّ الليل ظلام، والظلام عدم الضوء، والعدم مقدّم على الوجود في هذه المخلوقات.[2]

هذه من أهم العناصر التي تدخل في التحليل اللساني النصي (بالمفهوم المعاصر)، وهي من جزئيات البحث التفسيري للقرآن الكريم؛ كونه يقوم على مبادئ وأسس ينبغي للمفسر إدراكها والعمل على تفسير النص القرآني واستخراج أحكامه بالرجوع والاستناد إليها .

وقد تنبّه إليها ابن باديس كغيره من المفسّرين و لم يُغفلها بالنظر إلى الهدف الذي كان يرمي إليه من خلال هذا العمل .

ثالثاً :تحليل نص من تفسيره (المعوّذتين) أنموذجاً:

في البداية ينبغي الإشارة إلى التعريف بالسورتين تعريفاً موجزاً، الغرض منه التمهيد قبل الخوض في مسألة تحليل النموذج، انطلاقاً من التفسير؛ ليتم في نهاية الأمر استنتاج جواب عن سؤال مفاده: ما هي أهم الأشياء التي ركّز عليها ابن باديس في تحليله وتفسيره للسورتين؟

فسورتا المعوّذتين هما سورتا: الفلق والنّاس، مكيَّتان، عدد آيات سورة الفلق خمسة آيات، وسورة الناس ستة آيات. ترتيبهما في المصحف (سورة الفلق 113، وسورة الناس 114)، أمّا ترتيبهما في النُّزول، فسورة الفلق نزلت بعد سورة الفيل، وسورة الناس نزلت بعد سورة الفلق.[3]

للتعرّف على التحليل الذي عمد إليه ابن باديس في تفسير المعوّذتين، يستدعي هذا من القارئ إلقاء نظرة بسيطة حول العناوين التي أدرجها تحت قسم تفسير السورتين، وهي كما يلي:

(استهلال، تمهيد، ومن هذه المعوّذات، فضل المعوّذتين، سر الختم بهما، رب الفلق، الشر وأقسامه، النّفّاثات، الاعتقاد الصّحيح، هذا الخبر عند الناس، إلاّ سائراً على شعاعه، الحاسد والحسد. سورة الناس: تمهيد، النفوس الشريرة ، المستعاذ منه، من شر الوسواس، الخناس، الوسوسة ومحلّها، دقائق بلاغية، القرين).[4] فكلّها عناوين شديدة الارتباط بمعاني السورتين.

ففي الاستهلال الذي بدأ به- و هو استهلال سار عليه في جميع دروسه التفسيرية – ذكر الاستعاذة والبسملة والحمدلة، ثم الصلاة على خير الأنام ...شأنه في ذلك شأن خطبه التفسيرية الأخرى.

---

[1]- سورة الإسراء، الآية [12].

[2]- ينظر:في مجالس التذكير ،ص47.

[3]- ينظر:الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي ،اعتنى به :مصطفى شيخ مصطفى،مؤسسة الرسالة ناشرون ،دمشق – سوريا، بيروت-لبنان ، ط1 ،1429ه/2008م، ص64-65.

[4]- ينظر:في مجالس التذكير،صفحة الفهرس،428-429.

يضع القارئ بعد هذا في جو السورتين، متناولاً معنى المعوّذات (المحصّنات)، ونسبة هذه التسمية إلى النبي (صلّى الله عليه وسلّم). بعد هذا ينتقل إلى هذه العناوين ذات الصلة الوثيقة بفهمه لمعنى وموضوع السورتين- وهو ما يهمّنا هنا في هذا الموضع-؛ فقد تحدّث عن سر الختم بهما وحِكَمُ ذلك الختم -وسبق الإشارة إلى هذا- ، ثم المناسبة التي تجمع بين سور القرآن كلية وهاتين السورتين بسورة الإخلاص، وهي من المعوّذات أيضاً لما فيها من أصول العقائد، وكفى بها معاذاً من الشّرك .[1]

ولإظهار وجه المناسبة بين السور الثلاثة، عمد ابن باديس إلى ربط معاني سورة الإخلاص بما جاء في سورتي المعوّذتين من تمام التوحيد لله والإنابة له والالتجاء إليه،كما قرن السور الثلاثة في التسمية بهذه المناسبة وهذا الارتباط .[2]

وما من شك في أنّ للمناسبة دورها البارز في تحقيق التماسك النصي؛ الذي يجعل من النص كلاً كاملاً لا أجزاء بعضها منفصل عن بعض؛ فمن وحّد الله استغنى عمّن سواه، وأعرب عن افتقاره والتجائه إليه وهذا متمّم للتّوحيد وليس خارجاً عنه، انطلاقا من نص القرآن.

في تفسير هذه السورة (الفلق) والأخرى التي تلي (سورة الناس)، يعتمد ابن باديس طريقة التفسير آية بآية، لكن المقام هنا لا يسع لتتبّع نفس الطريقة؛ لقصر البحث وتركيزه على ما هو مهمّ فقط،على أن يُلجأ إلى تحليل تفسير السورتين كاملاً .

1 - سورة الفلق :

لفهم مضمون السورة يقدّم ابن باديس للقارئ أرجح معاني المفردات والألفاظ، لينتقل بعد ذلك إلى تحديد الدلالة الكلية للسورة .

فالأمر المفرد للنّبي (صلّى الله عليه وسلّم)، غير أنّ الأمر لنبيّنا أمر لنا؛ لأنّه في قوة: قل أنت، وقل لأمّتك يقولون.

﴿أَعُوذُ﴾أستجير وألتجئُ، والرب الخالق المكوّن المربي، ﴿الفَلَقِ﴾الفجر المفلوق المـــفري، ومن لطائف هذه اللغة الشريفة أنّها جاءت على دلالة واحدة مع ألفاظ كـ: الفرق، الفتق...، وتخصيص كل واحدة بمتعلّقاتها باب من فقه اللغة عظيم.

وقد جاء تفسير لفظ الفلق في كل من تفسيري (الكشّاف وتفسير ابن كثير) بمعنى الصّبح،كما نقلا له معاني أخرى كـــ: واد في جهنم، أو جبّ فيها، أو هو اسم من أسمائها، وقيل هو كل ما يفلقه الله، أو هو

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص368-369.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص370-371.

بمعنى الخلق ...[1]

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من كل مخلوق فيه شر .[2]

و(الغاسق) الليل المظلم، والمراد هنا المصيبة تطرق ليلاً وعلى غِرَّة. و ﴿وَقَبَ﴾ دخل في الوقب وهو النقرة في الشيء.

و﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ السّواحر ينفثن الريق، وهو جمع نفّاثة كثيرة النفث .

و﴿العُقَدِ﴾ جمع عقدة بيان لعادة السّواحر من عقد الخيوط ونفث الريق عليها .

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾: الحاسد الذي قامت به صفة الحسد، وهو الذي يُحبّ أن تُسلَب النِّعم من غيره، والحسد: شر تلازمه شرور: العُجب، الاحتقار، الكِبر.[3]

في الآية الأولى أُضيفت لفظة الفلق إلى (رب)، حيث جاءت بمعنى الفجر، وموقعها كغيرها من الألفاظ التي تُضاف إلى هذه الكلمة في القرآن، عنده كمواقع أسماء المخلوقات التي أقسم بها الله، وكلّها عجيب معجز، وكلّها تبعث في الأسلوب الذي وقعت فيه، والمقام الذي استعملت فيه وناسبته؛ قوة ومتانة، وجلاءً ووضوحاً لمعناها .

وبيّن أنّ بين اللفظين مناسبة دقيقة تكمن في أنّ: رب الناس ومربّيهم وسائقهم إلى ما يكمّل وجودهم تنكشف لعلمه سرائرهم، والفلق نور يكشف للعيان كل المبصرات؛ لتُرى على حقائقها ومقاديرها .[4]

فكما أنّ الفلق نور فمن أسماء الله الحسنى النور؛ ففي سورة النور نجد قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[5]، وهذا دليل قاطع على تحقُّق هذا المعنى .

أما الآيات التاليات[2-5] فحدّد العلاقة بينها، في أنّ الآية الأولى تناولت الشر عموماً والآيات الأخرى خصّصت العام، ويظهر الرابط بينها والاشتراك في أنّها شر خفي، وهي بهذا مرتّبة ترتيباً بديعاً بليغاً، دقيقاً في رعاية المراتب وتنسيقاً في عرض الأذهان، وتتجلّى نكتة هذا الترتيب في أنّ: « الليل ليس شر في نفسه، ولا

---

[1]- ينظر: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط1، 1418ه/1998م، ج6، ص464.و تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، تحقيق:سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض،ط2 ،1420ه/1999م، ج8، ص535.

[2]- ينظر:في مجالس التذكير،ص371-372.

[3]- ينظر:المصدر نفسه،ص373-379.

[4]- ينظر:المصدر نفسه، ص371-373.

[5]- سورة النور، الآية[35].

الشر من عمله، وإنّما هو ظرف للشّرور، والعلاقة بين الشيء وظرفه مكينة في النفوس قوية في الاعتبار، مسبّبة للحكم على أحدهما بحكم الآخر.»[1]

و لاستجلاء المعنى يسعى إلى توضيح وجه التناسب بين الثلاثة (الغاسق، النّفّاثات، الحاسد)؛ فالجميع ظلام: ظلام الزمن، ظلام السّحر، وظلام الحسد. ثم يستطرد وكأنّه شعر بسؤال حائر: لماذا قُيِّد الغاسق بالوقوب ؟ فيجيب أنّ فيه احتمالان كلاهما صحيح مؤدٍ للغرض والمراد. فالاحتمال الأول منظور فيه إلى ظرف الوقوب الزماني (اشتداد الظلام وتغطيته لكل شيء)، و فائدة القيد أنّ الحالة المصوّرة في الجملة هي التي تقع فيها الشرور من الآدميين وغيرهم؛ أي إنّ المستعاذ منه شر يقع في زمان. أما الاحتمال الثاني فيُنظر فيه إلى ظرفه المكاني، لأنّه في حقيقته يعني دخول شيء في شيء دخولاً حسياً، لذلك اقتضى ظرفا مكانياً، على أنّ المستعاذ منه شر يقع في مكان .[2]

من هذا المنطلق تتحدّد أهمية ووظيفة السياق (القرآني)كونه: « تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى»[3]؛في تحديد الدلالة (المعنى)،أو قل ترجيحها .

على هذا الأساس يذهب ابن باديس إلى أنّ الليل مِعوان لذوي الشر على شرهم، ولهذا أُضيف الشر إليه واستعيذ بالله منه. أما صفة الحسد فلا أشنع منها لكون إبليس إماماً فيها، وهي صفة تَعود على صاحبها قبل غيره، لأنّها تأكل قلبه وتُؤرِق جفنه، وتقضّ مضجعه، ولا تكون شراً على غيره إلاّ إذا ظهرت آثارها بأن كان قادراً على الإضرار، ساعياً فيه، لهذا قال تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، ولأنّ المـــُتمني للشيء لا يمنعه من إتيانه إلاّ العجز .[4]

2 – سورة الناس:

يشير ابن باديس في البداية إلى التسمية النبوية للسورتين، والصفة التي جرت مجرى الاسم لهما، ثم يقرن هذا بالاسم الخاص لكل سورة. يوضّح بعد هذا المناسبة بين السورتين في اشتراكهما في الوصف، وهو التعوّذ

[1]– في مجالس التذكير،ص374.

[2]– ينظر: المصدر نفسه ،ص374-375.

[3]– السياق القرآني وأثره في التفسير (دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ،إعداد:عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري ،إشراف:خالد بن عبد الله القرشي،المملكة العربية السعودية ،جامعة أم القرى،كلية الدعوة وأصول الدين ،قسم الكتاب والسنة1429ه/2008م،ص71.

[4]– ينظر:في مجالس التذكير،ص380.

بهما من الشرور المذكورة فيهما، وقريب من هذا وجه المناسبة القريب بين السورتين-في نظره- أنّ النفوس الشريرة ثلاثة أقسام :[1]

1 - قسم يصدر عنه الضرر ويعمله .

2 - قسم لا يريد الخير فيسعى في سلبه وانتزاعه، وهو شر من الأول .

3 - قسم يعمل إلى إيصال الشر إلى سلطان الجوارح (القلب).

تتّضح خياراته لمعاني المفردات والألفاظ الخاصة بالسورة كما يلي :

﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾مربّيهم ومعطيهم وهاديهم.

﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ الذي يملك أمر موتهم وحياتهم، ويشرع لهم من الدين ومن الأحكام ما يوافق حياتهم (دنيا وآخرة).

﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾الذي يدينون له بالعبودية .

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ (الوسواس) صفة الموسوس، وأصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء، والموسوس من الإنس يتحرّى هذا الخفاء ما استطاع و يحكم الحيلة في ذلك. (الخناس) من الخنوس، التأخر بعد التقدم، أما ملابساته في المحسوس أنه يذهب ويجيء ويظهر ويختفي إغراقاً في الكيد، وتقصّياً في التطور.
والوسواس: الشيطان يأمر، فإذا أُطيع خنس، وهو بالمصدر لأنّه وسوسة في نفسه؛ فهي صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه .[2]

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ يوسوس بالمضارع يعني تجدّد الوسوسة منه وعدم انقطاعها، وقال:
(في صدور الناس)، والصدر ملتقى حنايا الأضلع و مستودع القوى، ومجمع المُضَغ التي تحمل القوى .
﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾:(الجِنَّة) جماعة الجن وهم خلاف الإنس، والمراد هنا أشرار ذلك الجنس .[3]

و أُشير في البداية إلى الرابط (وجه المناسبة) القريب بين السورتين من أنّ الأولى تناولت الشر العام وثلاثة أنواع من الشرور، والثانية تناولت الاستعاذة من شر واحد هو سبب في شرور كثيرة، وهو القسم الأخير من النفوس الشريرة؛ لأنّه أعظم وأخطر وأكثر الشرور وأخسرها عاقبة .

[1]- ينظر:المصدر السابق،ص381.
[2]-ينظر على التوالي:تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير ،ج8،ص540.الكشاف :جار الله الزمخشري ،ج6،ص468.
[3]- ينظر:في مجالس التذكير ،ص380-384.

يوضّح ابن باديس السر في ترتيب الآيات الثلاثة الأولى من السورة، حيث تتجلى بلاغة هذا الترتيب وتتّضح عند استعراض أطوار الوجود الإنساني :[1]

1 - فالأول: طور التربية والإعداد (من مظاهر الربوبية "ربِّ النّاس").

2 - والثاني: طور القوة والتدبير (من مظاهر الملك "ملكِ النَّاس").

3 - والثالث: طور الكمال والقيام بوظائف العبودية (من مظاهر الألوهية "إلهِ النَّاسِ").

وقد خُصِّصت لفظة النَّاس في هذه السورة وكُرِّرت ،والسبب في نظر ابن باديس أنّ:

1 - الناس هم هدف ومرمى الوسوسة، وهم المأمورون بالاستعاذة منها، ثم إنّهم شُرِّفوا بالتكليف؛ فتوجّه لهم الخطاب، وسيق إليهم التحذير .

2 - أنّ الناس ينطبق عليهم ناموس الهداية والضلال .

3 - اختير هذا اللفظ دون غيره من الألفاظ المشاركة له في الدلالة (البشر ،البرية)؛ لأنّه ينوس ويضطرب وينساق. وهذه الصفات يلزمها التوجيه (توفيقاً وتسديداً من الله للوجهة الصالحة)،كونه لا يملك لنفسه ذلك، وما دام هو محاسب عنه، وما دامت هناك قوة أخرى تترع به إلى الشّر. فهم أحوج المربوبين إلى تأييد الله و أحقّهم بطلب ذلك منه.

4 - من كمال التنزيه حمل الألفاظ التي تضاف إلى كلمة (رب) على أشرف معانيها؛ فتكون (الناس) بمعنى الأمثال والأخيار، الجامعون لمعاني الإنسانية الفاضلة .[2]

تكرَّر لفظ الناس في السورة خمس مرات، والغرض من ذلك: « توضيح المعنى، وإلفات النفس إليه وإيقاظ

شعورها به ، والتّسجيل على النّاس بأنّ لهم ربًّا هو مالكهم وإلههم .»[3]

وهذا ما يؤكّد أهم وظيفة للتّكرار وهي التقرير،وجاء هنا عنده بلفظ التسجيل .

لتوضيح معنى الوسوسة وما يدخل ويتفرّع عنها من أفعال يستعرض ابن باديس آيات قرآنية (من غير هذه السورة) الجامع بينها أنّها تناولت الإبعاد عن الله بهذا الفعل ؛بإفساد صلة الإنسان بربّه، وتارة إفساد تدبيره وما شُرِع له لمنفعته وصلاحه، وتارة بإفساد عبوديّته لله وهي أشرف علائقه وأقوى صلاته به.

فيستعرض الآيات المختارة لهذا الغرض وهي :

[1]- ينظر: المصدر السابق ،ص381.

[2]- ينظر:المصدر نفسه ،ص382-383.

[3]- المصدر نفسه ،ص383.

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.[1]

وقوله أيضاً: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.[2]

وقوله: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.[3]

و قوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾.[4]

فالشيطان يسعى جاهداً إلى أن يُبعد الناس عن الله بإفساد العقيدة الصحيحة فيه أو بالصّرف عن شرع الله، أو بالحمل على عبادة غيره؛ فجاء الترتيب على هذا النّمط المذكور لتلك العلائق التي يريد الشيطان أن يقطعها.[5]

ثم يوضّح صفة الوسواس والوسوسة ومحلّها .فـــــــ: «الوسواس الخنّاس يوجّه كيده ووسوسته دائما إلى هذه

القلعة التي هي الصدر؛ لأنّها مجمع القوى .»[6]

كذلك بيّن التئام طرفي الكلام(في مقام الاستعاذة)، لحصول التقصي الوصفي المستعاذ به والمستعاذ منه .

توضيحه المقام الذي جاء فيه الحديث عن الوسوسة في هذه السورة، بأن قُدِّم لفظ الجِنَّة على الناس؛ لأن الوسوسة من الجن أخفى وأدق .

من هذه النظرة الخفيفة حول تفسير ابن باديس للمعوّذتين تتّضح أصالة علم التفسير في العناية بالنص القرآني، ومن ثم زيادة تأكيد على أنّ التحليل اللساني النصي نشأ في كنف العلوم العربية التراثية منها، خاصة ما كان منها لصيقاً بالقرآن الكريم (علوم القرآن ...).

---

[1]- سورة البقرة، الآية [268].

[2]- سورة ص، الآية [82].

[3]- سورة الإسراء، الآية [62].

[4]- سورة النساء، الآية [119].

[5]- ينظر:في مجالس التذكير ،ص382.

[6]- المصدر نفسه ،ص384.

يظهر ابن باديس في تفسيره (رغم الاتّجاه الذي اتّخذه)محلّلاً نصياً؛ كونه أوّلا اتّخذ منهج السلف في تفسيرهم القرآن الكريم (تفسير القرآن بالقرآن ،تفسيره بالسنة الصحيحة ،.....)،ثم بحثه في كل ما من شأنه أن يضفي ويجلي الوحدة الكلية الشاملة للنص القرآني.

وانطلاقاً من نموذج تفسيره للمعوّذتين يتبيّن تحليله على مستويين (أفقي وعمودي)؛ بمراعاة معنى اللفظ في الآية ،ثم معنى الآية الواحدة ثم مايليها من آيات، إلى أن يصل في الأخير إلى الرابط بين آيات السورة، لاستجلاء دلالة السورة ككل، انطلاقا من خيارات الألفاظ والمناسبة بينها، وربط آيات السورة والسورة بما يسبقها من الآيات والسور وما يلحقها .

خاتمة

بعد هذا العرض البسيط حول النظرة الباديسية للنص القرآني ومحاولة مقابلتها ببحث لسانيات النص، من خلال مدوّنة التفسير (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، يمكن أن يُختم هذا البحث له دف لفت نظر القارئ الكريم لجملة وأهم نتائج البحث الممثّلة في النقاط التالية:

1 - أصالة البحوث اللغوية العربية التراثية -خاصة ما يتصل بمجال علوم القرآن-بالبحث في الظواهر والقضايا النصية التي تحكم بناء النص وتضمن تماسكه.

2 - الملاحظ لأغلب المصطلحات التي جاءت بها اللسانيات النصية ،هي في أساسها مصطلحات موجودة في الدرس اللغوي العربي على اختلاف مدوّناته.

3 - يمكن القول بأنّ إرهاصات علم لسانيات النص ظهرت في ظل الدراسات القرآنية، والتفسير واحد منها.

4 - يعتبر البحث في مسألة الوحدة الكلية للنص القرآني بحث في وجه من وجوهه الإعجازية.

5 - يعدّ تفسير ابن باديس مدوّنة لغوية بالغة الأهمية، قبل أن يكون مصدراً للفكر الإصلاحي في الجزائر.

6 - يتحدّد من خلال هذا الأثر التفسيري مدى سعة ثقافة ابن باديس في ميادينها المختلفة (علوم اللغة، علم الاجتماع والعمران البشري، علم النفس ...).

7 - يمثل هذا التفسير (في مجالس التذكير) محصّلة فهم ابن باديس للقرآن الكريم وتفهيمه له، وإن لم يصلنا منه سوى هذا الجزء اليسير.

8 - لم يخرج ابن باديس في تفسيره -بالنظر إلى مصادره في التفسير- عن سابقيه، إلاّ أنّ نظرته للتفسير متميّزة عنهم، ويفسّر هذا الزمان والمكان الذي عاش فيهما الإمام .

9 - إذا أمعنّا النظر في اختيارات ابن باديس للآيات القرآنية؛ فإنها لم تكن محض صدفة، بل كانت ترمي إلى هدف كما خدمت مساره الدعوي الإصلاحي.

10 - لقد وضع ابن باديس انطلاقاً من هذه الاختيارات برنامجاً عملياً؛ خدمةً لغرضه، وضمان فعّاليته، وهو بهذا ينحو منحىً اجتماعياً، نفسياً، وحتى تربوياً، لهذا السبب برزت مكانته، وتعدّدت قيمته وخصائصه.

11 - اهتمامات ابن باديس في ما يخص وحدة بناء النص القرآني، والأدوات التي تحكم بناءه، وتُظهر تماسكه، لم يَسعَ قاصداً إياها؛ لأنّه اتّكأ من البداية على قاعدة التفسير الأساسية، ثم إيمانه بهذا الجانب الذي توسّع الأوّلون في بحثه ودراسته.

12 - لا يمنع هذا من تجلي بعض المسائل العامة والهامة التي يتحدّد تماسك النص القرآني بها، وتحفظ بنيته الكلية في تفسير ابن باديس من أهمّها:

1 - عنايته بالمناسبة والعلاقة بين السور في ترتيبها الذي هي عليه في المصحف الشريف، اهتمامه بظاهرة التكرار ،والحذف ،والعطف ، أضف إلى هذا ما اعتنى به فيما يخص انسجام النص القرآني والتئام أطراف الكلام داخل هذا النص .

2 - تعدّى ابن باديس النظر إلى هذه الظواهر في أدائها وظيفة التماسك إلى كشف دلالتها، وأهميتها في توجيه دلالة النص القرآني وترجيحها .

إذا كانت هذه هي أهم النتائج، فمن جهة أخرى يبقى هذا البحث قاصراً عن سد الثغرة في هذا الموضوع؛ لذلك الأجدى بالباحثين (الكبار والمتمكّنين منهم)أن يسعوا إلى تكريس وتكثيف جهودهم لبحث وبعث هذا العلم التراثي الأساس من جديد؛ فيأخذ القديم الأصيل(ما وقفت عليه الدراسات القرآنية) بيد الحديث والمستحدث (لسانيات النص)، ليُبنى من الاثنين معا أصول وأسس علم لغوي نصي متكامل .

وبالنظر إلى تفسير ابن باديس، هذا الأثر العظيم الزاخر بالعطاء، حري بباحثينا التصدّي لدراسته من جوانب وفي مجالات مختلفة، من شأنها أن تثري مجال الدراسات(في مختلف التخصّصات) عندنا، كما أنّها تُسهم في المحافظة على تراث أمة عانت ويلات الاستعمار لفترة طويلة من الزمن .

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص .

الكتب:

1. ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ،محمد بهي الدين سالم ،دار الشروق ،القاهرة ط1 ،1420ه/1999م.
2. الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس (حياته ومسيرته وجهاده الإصلاحي)،كمال أبو سنة،دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر ،ط2 ،أفريل /2005م .
3. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ،تقديم:محمد علي سلامة، مراجعة: محمد سعيد العريان، الصحوة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط1 ،1429 ه / 2008 م .
4. الأعلام ،خير الدين الزركلي ،دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر ،بيروت-لبنان ،ط 15 ،مايو/2002م ج3.
5. أسباب نزول القرآن الكريم ،أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ،تحقيق:كمال بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان،ط1 ،1411ه/1991م .
6. الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي ،اعتنى به:مصطفى شيخ مصطفى،مؤسسة الرسالة ناشرون ،دمشق-سوريا /بيروت-لبنان ،ط1 ،1429ه/2008م .
7. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، دار ومكتبة الهلال ،بيروت- لبنان، (د-ط)،(د-ت)، ج2.
8. آثار ابن باديس ،إعداد:عمار الطالبي ،الشركة الجزائرية ،الجزائر،ط3، 1417ه/1997م .
9. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمان الرومي ،مكتبة التوبة ط 4،1419ه .
10. بلاغة الخطاب وعلم النص ،صلاح فضل ،دار الكتاب المصري (القاهرة)،دار الكتاب اللبناني (بيروت)،ط 1، 1425ه/2004م .
11. البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين الزركشي ،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،مكتبة دار التراث ،القاهرة ،(د-ط)، (د-ت) ، ج4.
12. البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين الزركشي،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت،(د-ط) ، (د-ت) ، ج2.
13. ديوان جرير ،شرح :يوسف عيد ،دار الجيل ،بيروت ،ط1 ،1413ه/1992م.
14. ديوان محمد علي خليفة ،محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،وحدة الرغاية،الجزائر،(د-ط) ، 2010 م.

15. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،جار الله الزمخشري،تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود وآخرين،مكتبة العبيكان ،الرياض ،ط1 ،1418ه/1998م، ج6.

16. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط1، 1991م .

17. لسان العرب ،ابن منظور، ،اعتنى به:محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ،دار إحياء التراث العربي ،مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت-لبنان،ط3،1419ه/1999م، ج3.

18. لسان العرب ،جمال الدين أبي الفضل بن منظور ، ،تحقيق:عامر أحمد حيدر ،مراجعة:عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت -لبنان ،ط1، 1424ه/2003م. مج5.

19. مبادئ في اللسانيات ،خولة طالب الإبراهيمي ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ط2 ،2006م .

20. مباحث في علوم القرآن، منّاع القطان ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرياض، ط3 ، 1421ه / 2000م .

21. موسوعة علوم اللغة العربية ،إعداد:إميل بديع يعقوب ،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، ط1 ،2006م، ج6.

22. مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق ،منصور كافي ،دار العلوم للنشر و التوزيع ،عنابة،(د-ط)، 1427ه/2006م.

23. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية) ،نعمان بوقرة ،جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،عمان-الأردن ،ط2 ، 2010م.

24. نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً ،الأزهر الزنّاد ،المركز الثقافي العربي ،بيروت /الدار البيضاء،ط 1، 1993م.

25. صحيح البخاري ،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن درزية البخاري ،المكتبة الثقافية ،بيروت ،(د-ط)،(د-ت)، مج1، ج1.مج3، ج6.

26. صحيح مسلم،أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري،ضبط :محمد فؤاد عبد الباقي ،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،ط1، 1442ه/2000م، ،مج1، ج2.مج3، ج6.

27. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط 1، 1421ه/2000م، ج1و ج2.

28. في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، عبد الرحمن بودرع ،مركز تفسير للدراسات القرآنية ،جامعة الملك سعود،المملكة العربية السعودية ،(د-ط)،1443/4/6ه-2013/2/16م .

29. في ظلال القرآن، سيّد قطب ،دار الشروق ،القاهرة -بيروت ،ط17، 1412ه/1992م،مج3.

30. تاريخ الجزائر الثقافي ، 1830-1954م،أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1998،1م، ج1، ج7.

31. تناسق الدرر في تناسب السور ، جلال الدين السيوطي ،تحقيق :عبد القادر أحمد عطا ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ، ط1 ،1406 ه/1986م .

32. تفسير ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الإمام ابن باديس،بقلم:البشير الإبراهيمي، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب و القرآن الكريم،الجزائر ،ط1، 1430ه/2009م،مج1.

33. تفسير ابن باديس ،في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،عبد الحميد بن باديس ، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين ،محمد الصالح رمضان ،تح:أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط2، 1424ه/2003م.

34. التفسير و المفسّرون، محمد حسين الذهبي ، (د-ط)،(د-ت)،ج1.

35. تفسير القرآن العظيم،الحافظ ابن كثير،تحقيق:سامي بن محمد السلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية-الرياض، ط2 ،1420ه/1999م، ج8.

36. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ،تركي رابح عمامرة ،منشورات ANEP،المؤسسة الوطنية للاتصال ،النشر ،الإشهار ،وحدة الطباعة الرويبة ،ط5 ،1422ه/2001م .

مجلات :

1. منهج ابن باديس الإصلاحي وأثره في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية ،قلايلية العربي ،مجلة عصور ، ع2، ،مخبر البحث التاريخي ،جامعة وهران ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر، ديسمبر،1423ه/2002م.

2. تفسير عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه،باي زكوب عبد العالي،مجلة الإسلام في آسيا، مج 8، ع2، الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا،ديسمبر2011م.

رسائل جامعية :

1. السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام،جزء من بحث متطلّبات شهادة الماجستير،إعداد:أحمد حسين حيال ،إشراف:محمد عليوي الشّمري،جمهورية العراق،الجامعة المستنصرية،كلية الآداب، قسم اللغة العربية،3/محرم/1433ه-29/تشرين الثاني/2011م.

2. السياق القرآني وأثره في التفسير (دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ،إعداد:عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري ،إشراف:خالد بن عبد الله القرشي،المملكة العربية السعودية ،جامعة أم القرى،كلية الدعوة وأصول الدين ،قسم الكتاب والسنة،1429ه/2008م.

مؤتمرات ومواقع إلكترونية :

1. أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي دراسة تحليلية في سورتي آل عمران و النساء ،إعداد:عبد السلام أمين الله أتو تليطو وعمر موسى غدن ،مداخلة ألقيت في المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس:2)،يومي: 22و2012/2/23م، 2013/5/29، vb .tafsir.net/forum 31/thread 30374-3.html م ،سا:12:00.
2. خصائص التفسير الباديسي،خالد توفيق،موقع الإمام عبد الحميد بن باديس www .bin badis.net،الثلاثاء، 09.أفريل،2013م،سا:19:35.

فهرس

الموضوعات

إهداء
شكر وعرفان
مقدمة.....أ-ج
مدخل.....2-10
الفصل الأول: عمل ابن باديس في تفسيره (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).....11-27
أولاً : الشيخ عبد الحميد بن باديس وتفسيره (في مجالس التذكير).....12-17
ثانياً : تفسير ابن باديس منهجه والطريقة المعتمدة فيه.....17-24
ثالثاً : خصائص التفسير الباديسي وقيمته.....24-27
الفصل الثاني : تجليات المعالجة النصية في تفسير ابن باديس.....28-49.
أولاً : النظرة الشمولية للقرآن الكريم.....29-33
ثانياً : القواعد العامة التي التجأ إليها ابن باديس في التحليل.....33-42
ثالثاً :تحليل نص من تفسيره (المعوّذتين) أنموذجاً.....42-49
خاتمة.....51-52
ثبت المصادر والمراجع 54-57
فهرس الموضوعات.....59